السنة الخامسة عشرة　　العدد ٢　　شباط ١٩١٢

المشرق

من بيروت الى الهند

الاب لويس شيخو اليسوعي

هذه ست عشرة سنة مرَّت علينا منذ تجشَّمنا اتعاب سفر طويل باشرناه في سبيل العلم فطفنا به انحاء الجزيرة ثمَّ العراق فالعجم فالهند وعطفنا راجعين على طريق عدن فسويس. وقد كان اصحابنا غير مرَّة طلبوا الينا ان ندوّن اخبار رحلتنا فيقتبسوا شيئاً من فوائدها الّا انَّ الضغط الزائد على المطبوعات كان في العصر الحميدي يمنعنا عن نشرها وقد جرى لنا فيها امور لا توافق على طبعها المراقبة الرسميَّة فاليوم اذ تلاشت هذه الحواجز لم نَعد نرى موجباً لكفّ القلم فلا بأْس من روايتها

١ من بيروت الى حلب

معلوم انَّ الرهبانيَّة اليسوعية حيثما حلَّت مع دفاعها عن الدين القويم تنهج طريقاً مهيعاً للعلوم البشرية. فان مدارسها وكليَّاتها ومطبوعاتها في كل الفنون ومراصدها الفلكيَّة ومعاهدها العلميَّة في الخافقين تشهد على حسن مساعيها التي اقرَّ بها اعداؤها فضلًا عن الاصدقاء.

وما كانت رسالتنا في سوريَّة لتحيد عن هذه الخطَّة كما هو معروف. ومن جملة ما عُني بانشائه رؤساؤها في هذه الديار مطبعتنا الكاثوليكيَّة التي مرَّ عليها اليوم ستون سنة خدمت فيها بكل نشاط الدين والعلم وقد ابرزت في هذه المدة نيفاً وخمسمائة كتاب في معظم العلوم العصريَّة عددنا قسماً منها في تاريخنا لفنّ الطباعة الشرقيَّة (راجع المشرق ١٩٠٠ ج ٣ ص ٧٠٦ الخ)

على انَّ مطبعة كبيرة كهذه اشتهرت في الشرق والغرب معاً بمطبوعاتها العلميَّة لا تستطيع ان تحفظ مرتبتها العالية الّا ان يكون لاصحابها مورد غزير يستقون منهُ فيواصلون اشغالهم دون ان تنقص عنهم الموادّ. ولهذه الغاية كان ارباب كليَّتنا انشأوا مكتبةً شرقيَّة واسعة جمعوا فيها اخصّ المطبوعات العربيَّة والسريانيَّة والعبرانيَّة والفارسيَّة والتركيَّة والقبطيَّة والحبشيَّة وقد كثروا تآليف في كل هذه اللغات يعرفها الشرقيون والمستشرقون

الّا انَّ ما يزين المكاتب الكبيرة خصوصاً انَّما هو عدد مخطوطاتها ووفرة مآثرها العزيزة الوجود. وكانت مكتبتنا الشرقيَّة حريصة على جمع هذه الخطيات كلَّما كانت تسنح الفرصة للوقوف على شيءٍ منها. بل اخذنا منذ السنة ١٨٨٠ نطوف في انحاء الجبل املنا نعثر على بعض هذه الآثار الخطيَّة وفي كل سنة في زمن العطلة الصيفيَّة كنَّا ننتقل في مدن الشام القريبة كطرابلس وصيداء ودمشق وحمص وحلب رجاء التقاط هذه الدُّرر الغالية الثمن فما كان ليخيب املنا فنعود بعد كل رحلة بعدد وافر من تلك الجواهر الفريدة

واذ قرأنا في رِحَل علماء الغرب انهم كانوا يتردَّدون خصوصاً الى بلاد الجزيرة والعراق فيعودون الى مواطنهم بعد ان اقتنوا عدداً دثّراً من المخطوطات الشرقيَّة اثارت اخبارهم الرغبة فينا لأن نتوغَّل على مثالهم تلك الجهات ولنا عليهم فضل الوطنيَّة ومعرفة البلاد والعادات واللغة فعرضنا الامر على رؤساء رسالتنا فلم نجد فيهم الّا تنشيطاً على اتمام العمل غير انَّ اشغالاً مختلفة كانت تقضي علينا كل سنة بتأجيل ذلك السفر حتى جاء خريف سنة ١٨٩٥

وكان وقتئذٍ رئيساً على رسالتنا السوريَّة المرحوم الاب اسطفان كلاره فاتتنا منهُ ونحن في غزير للرياضة السنويَّة رسالةٌ اوعز بها الينا في ان نباشر رحلتنا في اقرب وقت وقد اخذت وهجات الصيف في الخمود

فما امكننا الّا الاجابة الى تلك الدعوة فتحفَّزنا للسفر وبعد ثمانية ايام ركبنا باخرةً مسكوبيَّة نقلتنا الى طرابلس الشام اذ لم تكن السكك الحديديَّة قد امتدَّت بعد من الثغر الى البقاع الى جهات حلب. وكان خروجنا من بيروت في ١١ ايلول من السنة ١٨٩٥ في اصيل يوم الاربعاء.

وفي صباح اليوم التالي اقلّتنا العربة من طرابلس الى حمص حيث قضينا يومين. وكان يوم السبت واقعاً فيهِ عيد الصليب فرأينا من تقوى اهل حمص الكاثوليك ما سرَّنا. وسمعنا عموم سكان المدينة يطلقون ألسنة الشكر مثنين على همّة الآباء المرسلين الذين لم يألوا جهدهم في خدمة المرضى مدَّة عدوى الهواء الاصفر التي فشت في تلك السنة في المدينة وبعض انحائها فكان المرسلون وراهبات القلبين الاقدسين يواصلون الليل بالنهار في عيادة المصابين وتوزيع الادوية عليهم على اختلاف طوائفهم ومللهم

وفي مساء الاحد سرنا راكبين الجياد الى حماة فوصلنا اليها بعد المغرب بساعتين فحللنا في بيت احد الروم الكاثوليك الذي تحفَّى بنا واستقبلنا بكل ترحاب

ولم نبت غير ليلتنا في حماة التي أجلنا زيارتها لمرَّة اخرى (المشرق ٥:٩٥٣) فقمنا في سحر يوم الاثنين قاصدين حلب فسرنا على الخيل في طريق قطعناها بعد ذلك بعشر سنين فوصفنا مراحلها وقراها (المشرق ٨:٩١٧ ‎-‎ ٩٢٣) لا سيما خان شيخون ومعرَّة النعمان وسنبل وخان تومن. ولم يعرض لنا اذ ذاك ما يكدّر الخاطر بل رأينا من عنايته تعالى ما جعلنا نتيمَّن بهذا السفر ونرجو منهُ خيرًا وذلك ان اصابات الهواء الاصفر التي حدثت في جهات حمص كانت اوقعت الرعب في قلوب اهل القرى الشمالية فجعلوا حجرًا على القادمين من حماة ولم يَدَعوهم يواصلون السفر خوفاً من بثّ العدوى ففي اليوم السابق لمرورنا أُلغي الحجر الصحي. ومن ثمَّ ضاعفنا السرعة لنلحق بقافلة كانت سبقتنا بيوم من حماة فادركناها قبل خان سنبل وسرنا في رفقتها الى حلب بكل امان وراحة.

وفي خان سنبل جرت لنا تلك القصة المضحكة التي رويناها سابقاً (في المشرق ٨:٩٢١) حيث اعتزلنا عن القوم لتلاوة صلاة الفرض القانوني فظنَّ احد جهال القرية أنَّنا اكتشفنا كنزًا فطلب منَّا بالحاح ان نتقسَّمهُ معهُ فرددناهُ باللطف فلم يقتنع وتهدَّدنا بمدية حتى اضطرنا الامر ان ندعو بعض رجال المكان ليكفُّوا عنَّا شرَّهُ ففعلوا وابتعد وهو يزجر ويدمدم.

وفي منتصف الليل قام الركب ليسيروا على ضوء القمر وينجوا من حرّ النهار الملتهب فاحسنوا بذلك وبعد ان قضينا في مراقب ساعات الهاجرة من اليوم التالي

استأنفنا السير الى حلب وسرينا طول الليل حتى بلغنا الشهباء في سحر يوم الخميس في ١٩ من الشهر

قد عرف قرّاؤنا ما لحلب من المآثر التاريخيّة والادبيّة والصناعيّة بعد مقالات عديدة اثبتناها في المشرق سابقاً فلا نرى حاجةً للتكرار

ولم نُطل الاقامة في حلب الّا ريثما نجد قفلاً يسير بنا الى ما بين النهرين لأنّ الطرق في تلك الانحاء خالية من الامان فاذا انفرد المسافر هوّر بنفسهِ في الاخطار وربّما خرجت عليهِ شُذّاذ العرب او غوغاء الأكراد فسلبوهُ امتعتهُ وتهددوا حياتهُ

وكان الرؤساء تقدّموا الى احد آباء جماعتنا في حلب حضرة الاب يوسف شلفون بان يرافقني في هذه الرحلة وهو من ابناء لبنان المعروفين بالنشاط والاقدام فكان لي خير مونس ومساعد في هذه الرحلة فاهتممنا في حلب باعداد لوازم السفر. وكان من اخصها تجهيز هيكل نقّال نستطيع ان ننصبهُ كل يوم حيثما حللنا فنقدّم عليهِ الذبيحة الالهيّة صباحاً ونستمطر البركات العلويّة. ثم استحضرنا ايضاً من الحكومة تذكرة تنبي المأمورين باشخاصنا ومقامنا ولم يكن ذلك امراً نافلاً كما سترى

ثم جعلنا نسأل في الخانات عن زمن خروج القفل الى جهات اورفا وماردين لننضم اليهِ فعلمنا ان احد زعماء القوافل من الارمن الكاثوليك كان قدم من ماردين وهو يتأهب للسفر بعد أيام. فاستدللنا عليهِ واجتمعنا بهِ فاذا هو رجل مربوع القامة مفتول الذراعين على وجههِ سيماء البسالة فاتّفقنا معهُ على شروط السفر. ولا بدَّ هنا ان نعرّف اصحاب هذه القوافل فانَّ هؤلاء ليسوا كالمُكارين في الشام او لبنان يرتزقون بضنك العيش ويشتغلون مع دابّة او دابّتين. وانّما هم غالباً رجال اصحاب مال واسع ولهم تحت امرهم عدّة عمّال يرافقونهم ويملكون عدداً كبيراً من الدوابّ لنقل محصولات البلاد من قطرٍ الى آخر. وهم يدعون القفل كرواناً ويطلقون على المُكارين اسم القطرجيّة او القاطرجيّة. واذا رأيت هؤلاء المكارين ولا سيما شيخهم في بيوتهم احتسبتهم من وجوه القوم وذوي الحال الواسعة امّا اذا حان وقت سفرهم فيلبسون ثياب السفر الدافئة في الشتاء الخفيفة في الصيف وعلى رؤوسهم اللبد. وفي ارجلهم الاحذية الغليظة وهم مدجَّجون بالاسلحة ليدافعوا عن نفوسهم واموالهم ويردُّوا غارات اهل البادية. واذا حان يوم سفرهم يخرجون من البلد

برونق فتسير دوابُّهم بنظام وهم يعلّقون على اعناقها ولبّاتها وقُطرّيها واذنابها الجلاجل والاجراس يُسمع لها اصوات مرنّة وجلبة عظيمة من مسافة بعيدة فيأخذ اللصوص حذرهم لتوهمهم بشدّة القفل وكثرة الركاب. ويمشي الركب مع هذه القوافل يحتمون بحمى اصحابها ويخرج اهل البلد لوداعهم حتى ارباض المدينة فيكون لخروج القفل مشهد مهيب

وكان موعد سفر قفلنا في ٢٤ ايلول فقضينا الأيام الباقية لزيارة الاصحاب وفحص بعض المكاتب العموميّة والخصوصيّة في حلب بل امكنّا ان نقتني جانباً من المخطوطات النصرانيّة والاسلاميّة وحلب في مقدّمة المدن التي عُنيت بالعلوم والآداب في القرون الوسطى وفيها ابتدأت النهضة الادبيّة الجديدة التي تعمّ اليوم مدن الشام كما بيّنّا ذلك في مقالتين نشرناهما سابقاً في المشرق (٩ : ٦٢٩، ٦٦١) ولعلّ الثلث من مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة قد حصلنا عليها في الشهباء.

وفي صباح اليوم الموعود قمنا لسفرنا وكان يوم الثلثاء وفيه واقع عيد سيدة الفداء. فجعلنا هذه الرحلة تحت حماية البتول لتبارك ذهابنا وايابنا. والحقّ يقال انَّ أملنا في مراحمها لم تخب اذ وافق سفرنا حلول تلك الاضطرابات العظيمة والمذابح الهائلة التي اجرت الدماء سيولاً على طريقنا وكادت تذهب بحياتنا غير مرّة لولا عناية خاصّة منهُ تعالى

٢ من حلب الى الفرات

يقطع القفل الطريق الفاصلة حلب عن الفرات فالرها بستّة او سبعة أيام وتنيف المسافة بين المدينتين على مائتي كيلو متر والسير الى الرها في صحاري مخصبة قفراء ليس فيها سوى بعض القرى الحقيرة يسكنها قومٌ من التركمان او بعض اهل المدر من العرب. ووجهة الطريق من حلب الى الفرات شمالية شرقيّة ثم تعطف الى الشرق

كانت مرحلتنا الاولى الى (جوبان بك) والمرحلة عندهم تختلف بين ست ساعات وعشر ساعات وهم يدعونها القوناق - ففي هذا اليوم الاوّل تعرّفنا برفقتنا وهم نحو عشرين رجلاً منهم نصارى ومنهم مسلمون وكلهم يؤلفون في هذه الاسفار جمّاً واحداً وعائلة واحدة يؤدي بعضهم لبعض الخدم التي يعتادها الاصحاب واذا ركبوا تبادلوا عبارات الوداد وساروا معاً وربّما تناشدوا الاناشيد المطربة والاغاني

البهجة لاسيما في سُرى الليل لئلَّا يغلب عليهم النوم فيدهمهم عدوٌ راصد لهم وراء الصخور او الشجر. ومنهم من يقصُّ القصص على رفقتهِ وبالاخصِّ زعماء القافلة الذين يروون للركب تفاصيل اسفارهم في جهات الشرق كالارمن والعراق والاناضول فتنتهي الساعات والآذان مصغية الى اخبارهم دون ان يجد الركاب مللاً من حديثهم. واذا الجزءُ الواحد خلفهُ غيرهُ الى ان يبلغوا نهرًا او قرية فيستريحون هنيهة او يأكلون اكل الغداء دون ان يحلُّوا دوابهم ثم يستأنفون السير حتى يؤدي بهم الى منزل الليل

وهم عادة في هذه البراري يحلُّون في جوار قرية حيث يجدون علفاً لدوابهم وماء شروباً. واذا عوَّلوا على صرف الليل في مكان انزلوا الحمولة عن الدواب ونستوها فوق بعضها على شكل تربيع واسع او دائرة فينزل الرُكب في الوسط ويفرشون فيه امتعتهم للنوم امَّا الدواب فيربطونها باوتدة في خارج المربَّع ويتركون عليها اجراسها حتى اذا سرقها لصٌّ سمعوا صوتها فقاموا الى السارق وهزموهُ. امَّا اذا وجدوا خاناً في بعض القرى فيفضلونهُ لراحتهم وراحة دوابهم وذلك باجرة معلومة

وكثيرًا ما يقتسم الركاب بينهم مآكلهم. واذا وُجد مَن يُحسن الطبخ اعدُّوا طبيخاً يأكل منهُ جميعهم على حساب الركاب كلٌّ بنوبتهِ. واهل القرى ينتهزون فرصة مرور تلك القوافل ليبيعوهم شيئاً من مالهم. وليس لديهم غالباً سوى قليل من خبز الشعير والبيض واللبن

وجوبان بك مرحلتنا الاولى لا تزيد على عشرين الى ثلاثين بيتاً مبنياً وبقربها خيم يحتلها العربان. واذ رآنا اهلها اقبلوا الينا في اسمالهم وحسبونا من اطبَّاء. الفرنج فجعلوا يطلبون منَّا الادوية لمرضاهم فاحسنَّا اليهم بشيء ممَّا كنَّا اتخذناهُ لحاجتنا كالكينا وبعض السفوفات والمراهم. وقد تكرَّر علينا ذلك في بقيَّة سفرنا. فكان اولئك المساكين يحملون ثقتهم فينا ويجيئونا باوجاعهم فكنا نسلّيهم ونشير اليهم بالصلاة وبوضع رجائهم في الطبيب العظيم الذي يشفي كل بؤس ووجع او ندلهم على الادوية البسيطة والوسائل الصحيَّة القريبة التي تفضل على الادوية فكانوا يبتعدون راضين بهذه النصائح. وعرفنا من ثمَّ كم هي رفيعة رتبة الطبيب في البلاد الداخلية حيث لا يجد المسقومون من يعالج امراضهم

وفي اليوم التالي سرنا الى الشمال فقطعنا نهر الساجور احد سواعد الفرات واصلة

من جهات عينتاب وكان مسيرنا في منتصف الطريق فمن شمالنا كلّس ثمّ عينتاب ومرعش وعن يميننا منبج وكلها مدن شهيرة لاسيما مرعش ومنبج. وكانت منبج قديماً حاضرة لعمل روماني كبير يُعرَف بالعاملة الفراتيّة ويدعون منبج بالمدينة المقدّسة (ايرابوليس) وكان فيها معبد للشمس كبعلبكّ وبقيت منبج في أيام العرب زاهرة تكثر فيها الانسجة الشهيرة بالمنبجانيّة او الانبجانيّة (راجع المشرق ١٤ : ٨٠)

وفي مساء ذلك النهار نزلنا في قرية وسطى تُدعى بزنبور فيها مسجد صغير وخان للقوافل وفي لغة اهلها شيءٌ من الكردية لاسيما في اعلامهم فيدعون حسن «حسو» وخليل «خليو» ومحمد «محو» ومصطفى «مصطو» وليس بينهم من يُحسن القراءة غير الآغا وشيخ القرية. والنساء في تلك القرى مُسفرات لا حجاب لهنّ. وكذا يقال عن سائر قرى البادية الى بغداد

ثم واصلنا السير الخميس وصباح الجمعة الى «بيره‌جك» فلم نزل نقطع الطريق التي مهدتها منذ اجيال متوالية ارجل الامم السالفة حتى اشرفنا على وادي الفرات فلاح لنا عن بعد ذلك النهر الجليل المتسع الضفاف الزاخر المياه فتذكرنا وصفهُ للنابغة اذ شبه به كرم النعمان فقال:

فما الفراتُ اذا هبَّ الرياحُ لهُ ترمي اواذيُّهُ العِبرَينِ بالزَّبَدِ
يمدُّهُ كلُّ وادٍ مُترَعٍ لجِبٍ فيهِ ركامٌ من الينبوتِ والخَضَدِ
يظلُّ من خوفهِ الملّاحُ معتصماً بالخَيزُرانةِ بعد الأينِ والنَّجَدِ
يوماً بأجودَ منهُ سيبَ نافلةٍ ولا يحول عطاءُ اليوم دون غدِ

فاسرعنا منحدرين اليهِ لنروي ظمأنا من مائهِ العذب الفرات كاسمهِ وبقينا ساعة نمتّع العيون بمنظرهِ فتراه كسيلٍ عجيب يجري بكل هدوٍّ ورزانة لا تكاد الباصرة تميّز جهة انحدارهِ. وكم مرّت عليهِ من القرون وشاهد من الحوادث منذ كان يسيل في جنّة عدنٍ فحضر تسنيم الابوين الاوّلين لخالقهما بعد ان كوّنهما بكلمتهِ الحيّة ثم مدّة الاجيال التالية حيث التحمت على جوانبهِ تلك الحروب المرعبة فطحنت اممًا وسحقت دول حديثةٌ دولًا قديمة فقامت مقامها منذ عهد الكلدان والبابليين والاشوريين والماديين الى اليونان والرومان والعرب والترك حتى واقعة نزيب او نصيبين البلدة القريبة من بيره‌جك في غربيها وهناك انتصر ابراهيم باشا على جيوش

الدولة العثمانيّة في ٢٤ حزيران سنة ١٨٣٩ وتهدّد استقلال تركيا فعارضتهُ الدول وردّتهُ فارغاً الى قطرهِ المصري بعد مدّة

فكلُّ هذه الوقائع قد شاهدها الفرات وهو هو لم يزل يخصب البلاد التي يمرُّ بها على طول مجراه من اواسط بلاد ارمينيا حيث ينابيعهُ الى شطّ العرب وفيهِ ينضمُّ الى دجلة فيسيران ممتزجين الى ان يصبّا في خليج العجم. والفرات في الجزيرة بمثابة النيل في مصر فانّهُ في ايدي الشعوب التي احسنت التصرُّف بهِ وقدّرتهُ قدرهُ كان كنزاً ثميناً لا تنفد ثروتهُ وكفى دليلاً عليهِ مُدُن لا تحصى كانت ترتزق من مواردهِ كسميساط وقلعة الروم والبيرة والرقّة ودير الزور وكان اذا بلغ الى جهات بابل احيا اقطار البابليين كما كانت دجلة تخصب وتحيي بلاد الاشوريين. وكانت قنيّ عديدة تُرى آثارها حتى اليوم تستمدُّ شيئاً من مياهه فتسقي بقاعاً تُؤْتي ثمرها بينتي ضعف حتى ٣٠٠ ضعف كما شهد عليه قدماء المؤرخين

غير انَّ هذه الاحوال قد تغيَّرت في الاجيال الاخيرة واصبح الفرات وشقيقته دجلة كنزين مدفونين لا يأتيان بجزء في المئة من منافعهما. فعسى دولتنا الدستوريّة تسدُّ هذا الخلل قريباً وتستدرك هذا الخسران فتُخرج الى حيّز العمل مشروع الريّ الذي قدّمهُ الانكليزي ويلكوكس وتمنح امتيازاً لشركة تُسرع الى اجرائهِ مع توسيع قعر النهر في بعض الاماكن لتسير فيهِ السفن البخاريّة وليس ذلك من الامور العسرة الباهظة النفقات

تلك كانت الافكار التي تدور في خلدنا في تلك الساعة ونحن في انتظار القوارب التي يُقطع عليها النهر. فما لبثت ان اقتربت الى الشاطئ حيث كنّا قائمين فركبناها نحن ودوابُّنا بحمولها. وهذه القوارب على شبه حذاء كبير لا نعل له ولا عقب اذا اتّصلت بالبرّ لا يصعب على الدوابّ نفسها ان تدخلها وفي اعلاها ملّاح في يدهِ مجذاف طويل يركزهُ في قعر النهر فيتحرّك القارب الى ان يبلغ الضفّة الاخرى. وعرض النهر في الصيف لا يزيد عن ١٢٠ متراً امّا في وقت الشتاء فيصير كالبحر ويبلغ عرضهُ الف متر وازيد

٣ من الفرات الى الرها

ومعبر الفرات في هذا المكان من المعابر الشهيرة منذ قديم الزمان وكان اليونان

يدعون المدينة التي بقربهِ العبر (Zeugma) وكانوا حصَّنوها في وجه العدوّ ليسدُّوا في وجهه معبر النهر. بل جاء في خرافات اليونان انّ الاله باخوس اوَّل من مدَّ جسراً في هذا المكان لمَّا سار من بلاد اليونان ليفتح ممالك الهند. والمرجّح ان باني المدينة احد ملوك العجم من دولة بني ارشك فدعاها بيرتا. ولمَّا وقعت هذه المدينة في ايدي العرب سمَّوها البيرة ورمَّوا حصنها الشيع الذي تُرى منهُ حتى اليوم بقايا صالحة. وفي اواخر القرن الرابع عشر اخربها تيمورلنك. ثم استولى عليها الاتراك فدعوها «بيره جك» وهو اسمها الآن

والمدينة الحالية في لحف القلعة على منعطف تلّ يتحدَّر كالدرج. واهلها نحو ١٢,٠٠٠ نفس اكثرهم مسلمون يتكلَّمون بالتركيَّة وبينهم نحو الف ارمني غريغوري و٥٠٠ ارمني كاثوليكي. وبعد مرورنا بشورين قُتل كثيرون من ارمن بيره جك. وفي المدينة عدَّة جوامع اخصُّها «علو جامع» اي الجامع الكبير وهو قديم حسن الهندسة. وفيها اربع كنائس وثلث مدارس ابتدائيَّة وللكاثوليك منها كنيسة ومدرسة. وتحدق بالمدينة الاشجار والمزدرعات وكان لها سور خرب اكثرهُ كالقلعة وفي جوارها مياه معدنيَّة يُستحَمّ بها

وبيره جك مركز احد الاقضية الداخلة في سنجق اورفا منها قضاء «روم قلعه» في شمالها حيث كانت قلعة حريَّة شادها الروم على الفرات فاضحت مدينة وكثر اهلها وكان يقيم فيها جاثليق الارمن الى ان استولى عليها المخرّب واليوم لم يبق منها الا قرية صغيرة. مكانها بلدة تُدعى خلفت فيها مركز القائمقام. ومنها قضاء سروج بإسم مركزها سروج وهي مدينة عريقة في القدم ذات شأن عظيم كان القدماء يدعونها بطنة وفيها وُجدت آثار جليلة من عهد الاشوريين. وفي جنوبي البيرة ليس بعيداً منها عند مصب الساجور في الفرات بلدة صغيرة تُدعى جرابلس وفي جوارها وجدوا قبل ٣٠ سنة الخربة مهمَّة تحقَّقوا انَّها بقايا قرقيش حاضرة الدولة الحثّيَّة الشهيرة في تاريخ الحروب الاشوريَّة

وكان مقامنا في البيرة في خان واسع مشرف على المدينة واوباضها فكان مسانا هنيئاً ممتعاً والهواء رطباً منعشاً واجتمعنا ببعض اهل البلد فآنسنا بمشاهدتهم وافادونا شيئاً من احوالهم

وقنا قبل سحر اليوم التالي السبت ٢٨ ايلول لنقطع مسافة طويلة ونتمكن من الوصول الى اورفا صباح الاحد وبين بيرهجك واورفا ٩٩ كيلومترًا اي ٢٠ ساعة. فشينا في ذلك اليوم عشر ساعات متوجهين الى الشرق . وبعد ان اجتزنا الجبال المكتنفة بالبيرة دخلنا في بقاع ما بين النهرين المخصبة ونزلنا وقت العصر عند خان كبير مبنيّ بالحجارة المنحوتة الضخمة يُدعى « جهار ملك » اي الملوك الاربعة. ويزعم النصارى انَّ هذا البناء يرتقي الى عهد الملوك المجوس وانَّهم كانوا اربعة فدُعي الخان باسمهِ المذكور. وليس الامر كما يزعمون والخان من ابنية القرون الوسطى كما يظهر ولعلَّ اسمه يشير الى ملوك نزلوا فيهِ او ابتنوهُ لمأوى القوافل. وبقربهِ جدول ماء يسقي تلك الانحاء ويشرب منهُ الزرّاعون الذين هناك

ولّما حللنا الرحل انتهزنا الفرصة لاقامة صلاتنا عند الاشجار التي تظلّل مجرى الماء واذا برجل هناك حسن اللبس وضيء الهيئة اقترب منّا وطلب دواء يعالج به امرأتهُ ليزيل عقمها فاشرنا اليهِ بالصلاة الدواء العظيم لمثل هذه الحاجات مع الاحسان الى الفقراء وصرفناهُ بلطف

كان اليوم التالي يوم الاحد وفيهِ عيد الملاك ميخائيل فألححنا على رفقتنا واقنعناهم بان يقوموا نصف الليل لنبلغ الى الرها في ضُحى النهار ونقدّم القداس الالهيّ في كنيسة الآباء الكبوشيين فاجابوا الى ملتمسنا. وما كنّا قطعنا ميلًا من الخان واذا ببعض اللصوص كمنوا لنا وراء تلٍّ هناك وحاولوا ان ينهبوا الثقل ألّا انَّ اصحابنا شعروا بهم فنادى بعضهم بعضًا واطلقوا بنادقهم الى جهة المتلصصين . اما نحن فطلبنا شفاعة رئيس الملائكة ميخائيل في يوم عيدهِ فما تأخر عن مساعدتنا فاوقع الرعب في قلوب اللصوص الذين ولّوا هاربين وظنّوا ان عددنا غفير جدًا فلا طاقة لهم بنا

وقد تذكرنا وقتئذٍ ما حلّ في هذه الامكنة عينها برسلين يسوعيين وهما السيد مبارك بلانشه (Mgr B. Planchet) القاصد الرسولي على ما بين النهرين والاب يوسف لابورد (P. J. Laborde) وذلك في اواسط تشرين الثاني من السنة ١٨٥٦ فانهما اذ كانا سائرين مع الثقل من ديار بكر الى سويرك طلب السيد بلانشه ان يستريح قليلًا لنوبة من الحمى اصابتهُ في الطريق فسبقهُ الثقل وبقي وحدهُ في رفقة الاب لابورد واذا بقوم من الاكراد هجموا عليهما وسلبوا كل ما لهما

وضربوهما بالسيوف والحجارة وتركوهما على آخر رمق. ولمَّا عرف رفقتهما ما جرى لهما حملوهما الى سويرك حيث توفي السيد بلانشه امَّا الاب لابورد فشفي باعجوبة من العذراء مريم التي ظهرت لهُ وأبرأت جراحهُ فقام من ساعتهِ معافًى

وبعد مسير ست ساعات عند طلوع الشمس ولجنا في طريق محجرة كانت تمرُّ بين تلال وصخور. وكنَّا نرى فيها المغاور والكهوف المنحوتة التي كان يسكنها السيَّاح وعبَّاد النصارى في قرون النصرانيَّة الاولى لمَّا جارى رهبان ما بين النهرين غيرة رهبان الصعيد فزهدوا بالدنيا وانقطعوا الى امور الآخرة

وكان وصولنا الى الرها في ضُحى النهار فتركنا القفل في خارج البلد وقصدنا دير المرسلين الكبوشيين الذي رحَّبوا بنا واستقبلونا استقبال الاخوان ولم يذخروا وسعاً في سبيل خدمتنا مدَّة اقامتنا عندهم فتحققنا قول النبيّ داود: «ما اطيب وما الذ ان يسكن الاخوة معاً» وهو امر اختبرناهُ مدَّة رحلتنا كلها عند كافة المرسلين الذين نزلنا عندهم من اي رهبانيَّة كانوا فلا يسعنا الَّا الشكر على لطفهم وكرم طباعهم وحبهم الاخوي طالبين من ابي المواهب ان يجازيهم خيرًا عن صنعهم (يتبع)

من أعلى منارة بيروت

للاديب سليم البستاني احد طلبة كليتنا

تباركَ صُنعُ الله في البرِّ والبحرِ — ألا فاحمدوا الرحمنَ بالنظم والنثرِ
تباركَ مَن ذرَّ الكواكب في العلى — وزان أديم الارض بالحُلَل الخضرِ
اذا سكتت عن حمدهِ ألسنُ الورى — تُسبّحهُ الأكوان في السرّ والجهرِ
لقد شاقني رقصُ الطبيعة في الضحى — على نَغم الاطيار في جنَّة البشرِ
اذا حدَّثتني النفس ان اقصد الربى — فلم أرَ للإحجام وجهاً من العذرِ
صعدتُ الى اعلى المنارة ناظرًا — الى ما حواهُ الكون من طُرَفٍ غُرِّ
وحلقتُ في جوّ الخيال بفكرةٍ — بلغتُ بها شأوًا يعزّ على النسرِ
وسرَّحتُ طرفي في البريَّة فانثنى — يُردّد آيات المهيمن بالشكرِ
سبى مُقلتي لبنانُ مُنيةُ مهجتي — فأسكرني والفخر يغني عن الخمرِ

تنشَّقتُ عَرفَ الطُّهرِ من نفحاتهِ فروَّحَ روحي عرفُ ذيالك الطهرِ
دَنوتُ الى أطوادهِ وهضابهِ وقد عبثت بالدهر عصراً على عصرِ
ومتعتُ ابصاري بجنَّات عَدْنِهِ فخلتُ سماء الحسن في ذلك المصرِ
لقد شقَّ سيفُ السيلِ صدرَ جبالهِ فتفجر انهار اللُّجين من الصدرِ
اذا افتخرت ارض ببقيان تُربها فأنهار لبنان كنوزٌ من اليُسرِ
فأكرمْ بقطرٍ يملأ العين قرَّةً عليهِ طرازٌ حبَّرتهُ يد القطرِ
ألا صوِّبوا الانظار نحو سمائهِ تَروْها كمرآةٍ صفا ماؤها الدرّي
يجئلها في الليل أبهر كوكبٍ يسيرُ الهُوَينا بين انجمهِ الزُّهرِ
وتختالُ في افلاكها ربّةُ البها على عرشِ نُورٍ في وشاحٍ من التبرِ
فقلّبتُ في تلك المشاهد مقلتي وقلبي يصوغ الشعر فيها ولا ادري
الى ان سمعتُ البحرَ يخفق قلبهُ هياماً فوجهت اللحاظ الى البحرِ
رأيتُ بساطاً أزرقاً فوق متنهِ تُلاعبهُ الارياح في الطيِّ والنشرِ
اذا رضيَت خلتَ الخضمَّ صفيحةً وان سخطت خلت الجبال بهِ تجري
لقد فتنت آثارُ لبنان لبَّهُ فحاول ان يسعى اليها على البرِّ
ولمّا رأى سُدّاً متيناً يصدُّهُ تألّبت الامواج كالعسكر المجرِ
كأني بهِ والموجُ يعلو متونهُ خطيبٌ غضوبٌ يُنذر البرّ بالكرِّ
يهيج هياج الليثِ في طغيانهِ وينحب كالثكلى وينهضُ الوترِ
ويصدم اطراف الشواطئ حانقاً ويطعنها بالموج لا بالقنا السُّمرِ
يرى الارض لا تخشى كتائب موجهِ فيبدي ضروب الغيظ في المدّ والجزرِ
ويبصرُ في تلك الجبال معاقلاً فيزبد سخطاً راصداً فرصة الغدرِ
اذا كرَّ فلَّ الصخرَ جرّارُ موجهِ فيرتدّ مهزوماً على عقب الدهرِ
فأعجبْ بهِ بحرًا يحيّر فكرتي بما فيهِ من خيرٍ وما فيهِ من شرِّ
رسا اللؤلؤ الوهَّاج في غورِ لجّهِ مخافة ان يُبلى بشائبةِ الكبرِ
تسيرُ الجواري فوق متن عُبابهِ كما تسبح الأجيادُ في المَهْمَهِ القفرِ
فلولاهُ ما اهتزّت ركابُ رجالنا الى أسحقِ البلدان في طلب الوفرِ
فعادوا بأموالٍ جلت عن بلادنا جيوش همومٍ جنَّدتها يدُ العُسرِ

على انّ لليمّ الخضمّ كوارثاً   واصغرُها خنقُ النفوس على الغمرِ
فكم من غريق ذاق في البحر حتفهُ   فزجّ به التيّار في هوّة القعرِ
تجمّعت الحيتان من حول جسمهِ   فصادف في اجوافها لجّة القبرِ
وكم من فتى قد بات فوق غمارهِ   كما باتت الورقاء في مخلب الصقرِ
لئن هالني العجّاجُ وقت كاوحهِ   فبهجتهُ تجلو البلابلَ عن صدري
تمدّ اليهِ الشمس من عرش مجدها   حبالاً كاسلاكِ اللآلىء في النحرِ
كأني بها ترنو اليهِ صبابةً   وتبغي اللقا والدهرُ يحكم بالهجرِ
لذلك تعلو وجهَها صُفرةُ الجوى   وفي قلبها الاشواق تلذعُ كالجمرِ
اذا حان ميعاد الفراق تلهّفتْ   وانّت وسَيلُ الدمع من عينها يجري
تُودّعهُ والشرقُ يزفر لوعةً   فللهِ توديعٌ امرٌّ من الصبرِ
كذلك يلقى المرء آخرَ عمرهِ   اذا صرف الأيام في اللهو والوزرِ
لقد سامني هجرُ الغزالة وحشةً   اشدَّ على قلب الأبيّ من الاسرِ
ولولا هلالٌ لاح في غسق الدجى   لبتُّ بلا أنس الى مطلع الفجرِ
بدا في سماء العزّ ينشر نوره   على صفحات الكون مبتسم الثغرِ
ومن حولهِ زُهر النجوم كأنها   جنودٌ له تحميه من صولة الدهرِ
هفا القلبُ مني حين أرخى حبالهُ   على طود لبنان بمظهرهِ الدُرّي
فخلتُ على تلك الجبال بُحيرةً   من النور او روضاً من الدرّ والسحرِ
جبالٌ اذا أمّ الدليلُ رياضها   تنشّى عبيرَ البُرء من نفَس الزَهرِ
شُغفت بها طفلاً واني محبّها   ولا انثني عن حبّها مدّةَ العمرِ
حوتْ من أباة الناس قوماً تنزّهت   نفوسهم عن موقف الضيم والضرِّ
لهم همّةٌ شمّاء لا تعرف الونى   وقلبهمُ قد قُدّ من مهجة الصخرِ
نظرتُ الى بيروت تختال عزّةً   بابنيةٍ شمٍّ تجلُّ عن الحصرِ
عليها سمات الظرف والمجد والبها   ومن حولها الجنّاتُ عابقةُ النشرِ
تحدّث عن اخلاق سكّانها الأُولى   عرفنا بهم صدق المرؤة للغيرِ
فكم لجنة خيريّةٍ تبذل اللهى   لتدفع عن اهل الشقا غارة الفقرِ
ألا حبّذا تلك المشاريع انها   تُنيلهمُ الذكر الجميل مع الاجرِ

اذا افتخرت اهل اليسار بمالهم فمفخرهمُ بالفضل والعمل البرِّ
اطلتُ وقوفي في المنارة باحثًا فضاق مجال النظم عن كثرة الفكر
وما كان عهدي بالقريض يخونني ولكن نطاقُ الوصف اوسع من شعري

مرآة الحسناء

ملحق بديوان المرحوم فرنسيس مرّاش
نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

فرنسيس بن فتح الله المرّاش احد نوابغ الشعراء الحلبيين في القرن المنصرم وقد ذكرناهُ مع غيرهِ من اسرتهِ الكريمة في كتابنا تاريخ الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر وعددنا تآليفهُ (ج ١ ص ٤١). ومن كتبه التي نُشرت بالطبع ديوانهُ المدعو مرآة الحسناء الذي طُبع في بيروت سنة ١٨٧٢ في مطبعة المعارف بهمّة احد ادباء الكتبيين المسلمين احمد وهبي الحلبي. فعرف بهِ الشعراء بما آتاهُ الله صاحبهُ من القريحة الوقّادة لنظم القريض الحسن والشعر الرائق الذي قلّما فاقهُ فيهِ معاصروهُ لاسيّما النصارى اللهمَّ الّا بعض الافراد كالشيخ ناصيف اليازجيّ وبطرس كرامه. ولذلك اطرأه شعراء عصرهِ من مسلمين ونصارى فقال الشيخ بكر الزهري عنهُ مؤرخًا:

هو شاعرُ الدنيا بديع زمانها انسانُ عين خلاصة الفصحاء
فلهُ من الشعر الحلال قصائدٌ كقلائدٍ نُظمت من الجوزاء
لا عيب فيهِ غير انّ لسانهُ ينبوع كلّ بديعةٍ غرّاء
عجبًا فارّخ كلّما سطع البها هذا جمال المرأة الحسناء

والديوان المطبوع غزير المادّة وافر القصائد البالغ مجموعها ٣٤٨ صفحة من قطع الثمن. وهو اليوم قليل الوجود. وقد وقعت في يدنا نسخةٌ منهُ مخطوطة قد بيعت مؤخرًا في بيروت فاشتراها جناب الاديب الهمام يوسف افندي ليان سركيس تكرّم علينا بالنظر فيها وسمح لنا بالكتابة عنها في المشرق ان استصوبنا الامر. فبعد المراجعة رأينا انهُ لا يخلو تعريفها من الافادة

فهذه النسخة المخطوطة صغيرة الحجم متقنة الكتابة ومجلّدة بجلد احمر منقوش

بالذهب يبلغ عدد صفحاتها ٢٤٧ صفحة الّا انهُ قد نُزع منها كرّاس (٦٢ — ٧١) من القصائد الداليّة وخطُّها نسخيّ ناعم في غاية الحسن والضبط تحتوي كل صفحة منهُ ١٨ بيتاً. واسم الناظم لم يُروَ في صدر الكتاب بل لم يُذكر في اثنائهِ ولولا اشارات خفيفة في بعض القصائد لما عرفنا ناظمها. وكذلك اسم الديوان وتاريخ كتابتهِ ليسا بمدوَّنين هناك وكأنّ الشاعر لم يعوّل بعد على طبعهِ فلم يختر لهُ اسماً يوافقهُ

وقد قابلنا ما تحتويهِ النسخة الخطيّة من المنظومات مع الديوان المطبوع فاذا هناك عدَّة قصائد او مقطعات لم تُنشر بالطبع فلم نعلم سبب الضرب عنها ولعلَّ ناظمها او المتولي لطبع الديوان لم يستحسنها فعدل عن نشرها واستعاض عنها بقصائد اخرى تُرى في النسخة المطبوعة لا ذكر لها في المخطوطة او يكون جامع الديوان المخطوط احد اصحاب الشاعر جمع هذه المنظومات من اوراق بعد وفاتهِ سنة ١٨٧٣ فان فرنسيس مرّاش كان في اواخر عمرهِ مكفوف البصر فمن المحتمل ان تكون هذه الاوراق فُقدت منهُ فوجدت في تركتهِ بعد موتهِ وكتبت في هذه النسخة والله اعلم

وعلى كلّ حال قد احببنا ان ننشر هنا اجود هذه القصائد لئلا تأخذها يد الضياع. فممّا ورد لفرنسيس المرّاش من الشعر في باب الهمزة قولهُ (ص ١١) في مدح بعض مواطنيهِ المسمّى رزق الله يشكرهُ عن نعمةٍ نالها:

فوزُ الصغير بساعدِ الكُبَراء ... وقوى الضعيف بقوَّةِ العظماء
لولا ضياء الشمس في جَلَدِ السما ... لم يأتِ جرمُ البدرِ بالاضواء
ذو الفقير عن راجيهِ ليلٌ بعرضٍ ... واخو المروءة ملجأ الضعفاء
ما كنتُ ممّن حاز كلَّ سعادةٍ ... لولا الذي قد حاز كلّ سناء
اعني بذاك الشهمَ رزق الله مَن ... بنوالهِ يعلو على الانواء
الفاضل البادي الشهامة من غدا ... تاجَ الكرامِ وهامةَ الفضلاء
قد جئتُ مفتخراً بوصف صفاتهِ ... مدحُ الاكارمِ فخرةُ الشعراء
يا ايّها الفطنُ الذي بها الهدى ... شمسٌ ويعلي شبة الجوزاء
ببحور فضلك قد غرقتُ فان أقم ... عمري بشكرك لا يقوم وفائي
فلك المدائح والثنا والشكرُ ما ... لثمتْ خدودَ الورد ريحُ صباء

ومن نظمهِ في قافية الباء بيتان (١٥) كتبهما على كيس تبغ:

اذا فاح عرفُ المسك يوماً بمحفلٍ ... فانّ شذا هذا الدخان لأطيبُ

سقى الله ارضاً انبتتهُ مع الصفا   وغادرت الاكدار بالنار تلهبُ

ولم نجد في الديوان المطبوع في قافية الباء قصيدةً انشدها سنة ١٨٥٦ مدح السلطان عبد المجيد اولها قوله :

علتْ فلكَ المجد العظيم جوانبُهُ   فحلّتْ امانيهِ وسارت مواكبُهْ
مليكٌ يصيبُ النائباتِ بثلها   اذا ما بدت كتّابُهُ وكتائبُهْ
مجيدٌ حليمٌ عادلٌ ذو عناية   حميدٌ حكيمٌ باسلٌ عزّ جانبُهْ
اذا زان أفقَ الملكِ كوكبُ انسِهِ   وليس يزينُ الأفقَ الّا كواكبُهْ
وقد طالب النورَ الكبير فنالهُ   على قدر المطلوب قد جاء طالبُهْ
تمورُ قلوبُ الخافقين مهابةً   اذا اقتدرت اعلامُهُ وقواضبُهْ
ومذ لاح نور العدل منهُ انجلى بهِ   ظلام الردى والظلم غارت غياهبُهْ
سرت نسماتُ الأمن منهُ فأنعشت   قلوبَ الورى والدهر طابت مشاربُهْ
فيا ربِّ صُنْهُ ما بدا الصبحُ باسماً   على النور والديجورُ شُقّت جلاببُهْ

وقال من قافية التاء في تاريخ زفاف المسمى دانيال (ص ٣٥) :

بلابلُ الانس والافراح قد صدحت   في حيّكم وزهور البشر قد نفحت
وكوكبُ السعد من برج الهناء بدت   انوارهُ فجلتْ ليل الاسى ومحت
هنّئتمُ بزفاف كالجنان زها   رنّت به حببُ الصهباء وانشرحت
عرسٌ تموّج بحر المكرمات به   وعن سماهُ نجوم المجد ما نزحت
اقول حين ارى التاريخ تمّ به   يا دانيال قلوبُ الشعب كم فرحت

وقال يتشوّق الى صديقهِ نصر الله وفيهِ تضمين اسمهِ (ص ٣٦) :

بعد الاحبّة لا يزال محاربًا   قلبي بنار الشوق والزفراتِ
فانا القتيلُ ومن يبشّرنا نرى   بورود نصر الله فهو حياتي

ومن نظمهِ في باب قافية الثاء (ص ٣٧) يهجو رجلًا ورث مالًا فتشامخ :

ان تسلْ تالدًا يقولوا ورثْ   او تصبْ طارفًا يقولوا حديثْ
انما الفضل للذي يربحُ الامـوال بالجِدّ فالوريثُ خبيثْ
حدّثوني عن احمقٍ انّهُ قدّمَ الثنا بالغناء وبئس الحديثْ
ايها المرءُ لستَ تنمُ بالمالِ سناءً فالمالُ شيءٌ خبيثْ
ان ورثتَ الاموال مذ غفل الدهـرُ فما الفضلُ والنّهى موروثْ
انتَ لولا الميراثُ ما كنت تسوى   درهمًا للشرا فمتْ يا وريثْ
ان تفتْكَ الاموالُ من سطوة الفقـرِ فمن سطوة النُّهى من يغيثْ
والغنى لم يفدك اذ انت محتا جٌ الى العقل وهو عنكَ نكيثْ (كذا)

وله في قافية الحاء تاريخ زفاف المسمّى عبد الله (ص ٤٥) :

بزفاف عبد الله قد تمَّ الفرحْ وجلا سنا السرَّاء دَيجور الترحْ
عرسٌ بهِ صدرُ الزمان قد انشرحْ فصفا ومن احكامهِ البؤس انتزحْ
تثنى اليهِ اقبلتْ غررُ المُلَحْ وبروضهِ زهر السعادة قد نفحْ
ناديتُ اذ قالَ الهناءُ وما برحْ فاقهْ تبيانَ التواريخ منحْ
بزفاف عبد الله قد تمَّ الفرحْ ١٢٧٣ (١٨٥٦)

وقال في من يزخرف القول ولا يكترث للمعنى (ص ٤٥):

يا من يزخرف قولًا على يُفحمنا بهِ ألا دعْ كلامًا غير ممدوح
فزُخرفُ القولِ في ما لا مقامَ لهُ كثوب وشيٍ على جسمٍ بلا روح

ولهُ تهنئة في مولود (من قافية الدال ص ٤٦) سنة ١٨٥٠:

لكمْ الهناءُ ولي المسرَّةُ سرمدًا في خيرِ مولودٍ بحيِّكمُ بدا
قد جاءَ فخرًا للرجال وزينةً بين العشائر وللملا عزًّا غدا
لا زال نورُ المجد فوقَ سريرهِ والبشرُ منبجسًا ويعلو الفرقدا
قمْ من فيهِ بتاريخٍ ارى شمس السرور ببرجِ يومٍ اسعدا

وقال هذه الزهرية (ص ٥٨):

طابَ الصَّبوحُ فدعْ جوارَ المرقدِ وانهض الى الروض المذيب المورد
هلَّا رأيت الليل ولَّى هاربًا والفجر جاءَ على جوادٍ اربدِ
وغدا بياضُ الصبح ابيضَ تودهِ ورمى بهِ عنق الظلام الاسودِ
فذرِ الهموم على الفراش وسرْ بنا نحو الرياضِ تَفُزْ ببيشٍ ارغدِ
حيثُ الصبا سقَتِ الزُّكي خمر الندى والورقُ ابدت نغمةَ الصوت النَّدي
والطلُّ لاحَ على الشقيق كأنهُ عرَقُ الحياء على خدود الخُرَّدِ
والزهر بين مرصَّعٍ ومنضَّدٍ والنهر بين مدرَّعٍ ومزرَّدِ
والنَّورُ في تلك الخمائل قد حكى دررًا نُثرنَ على بساطِ زبرجدِ
ثَمَرُ الأقاحِ هناك يبسمُ كلَّما يبكي الغمامُ وما لهُ من منجدِ
لهُ من روض انيقٍ خلتهُ مثنى يزانُ بكلِّ نقشٍ جيِّدِ
صدحت طيور الانس فيهِ والصفا صفا من الاكدار والبؤس الردي
مثنى غدا للطَّرف طرفًا اذ حوى معنًى اليهِ سوى الهنا لم يُسنَدِ
وحكى كتابًا في كثيبٍ حولهُ يرعى وبيننا كلَّ ظبي اغيدِ
فلنحمدُ الله انتشى وبنحرهِ وحد السنا وبمبدهِ لم يُفقَدِ
وبهِ السرور بدا فقلتُ مؤرخًا الضيمُ في هذا الحمى لم يوجدِ

وقال في قافية الراء في مدح بعض ادباء الشبان من قصيدة (ص ٨١):

غصنٌ بروضِ المكرمات قد انثنى ولقد نما في ذروة الاحرارِ

اوصافهُ راقت فأبدت للورى صور الجلالِ فحيَّرت افكاري
رَيحانهُ الارواح ذكرُ خلالهِ تلك التي تصفو عن الاكدارِ
حسنُ السجايا ذو فعال ما حوت عللًا فقد سلمت عن الاوضارِ
لا عيبَ فيهِ غير ان خصالهُ بالعقل تفعلُ فعلَ كأسِ عقارِ

ولهُ في مدح جبرائيل دلّال من قصيدة (١٠٢):

ما روضةٌ نظمت ايدي النسيم لها عقدًا من النَّور اضحى نزهةَ البصرِ
وافترَّ ثغر الأقاحي والغصونُ بدت بالرقص لمَّا شدا القمريُّ في الشجرِ
يومًا بأحسنَ مرأى من محاسن مَن نُجلى بيشر ابن دلّالٍ على البشرِ
من لم يزل بخلوص الودّ مشتغلًا ومن غدا معهد الالطافِ والغررِ
ندبٌ حزومٌ اغرٌّ فاضلٌ فطنٌ صافي الصفات سليم القلب والفكرِ
تلقاهُ شيخًا كبيرًا بالمعارف اذ يروي حديثًا وفي العشرين لم يصرِ
سادت شمائلهُ جادت اناملهُ كادت فضائلهُ تعلو على الزُّهرِ
حسادهُ قد قصادهُ غنيت ودادهُ رويت من كفهِ الحـ
يرعى الاخاء بحالَيْ شدَّةٍ ورخًا ويعضدُ الصحب في عسرٍ وفي يسرِ
افادهُ اللهُ في سنّ الحداثة ما لم يستفد بعضهُ كهلٌ مدى العمرِ

ومّما لم يروَ ايضاً في ديوانهِ المطبوع قصيدة قالها في مدح رشيد باشا لمّا قدم حلب كشير (ص ١٠٥) اولها:

ما لوجه الشهباء يشرقُ بشرا وعلى م كلٌّ يقدّم نذرا

الى ان قال:

الرشيد السامي محمَّد من قد راح يعلو على الكواكب قدرا
من على الجَور شنَّ غارة عدلٍ فحباهُ القديرُ فتحًا ونصرا
مذ اتى جاء إثرهُ الدهر بالبشرى والدهر لا يجيء بشرًا
كُسيت في قدومهِ حلبٌ ثو بَ نعيمٍ وجاءها الخيرُ تترى
وتغنَّت بلابلُ الانس في دو حِ مناقبهِ والسلامُ استقرًّا
مذ كفًّا يفيضُ بحر نوالٍ فهو حلوٌ وقطُّ لم يبدِ جزرًا
في رياض الاحكام قد غرس الحقَّ م واجرى من العدالةِ نهرا
بعد الحكم بالسواء وقد أنسـ ـج طرقَ الاماني برًّا وبحرا
كم وكم حقَّ شكرُنا للمليك قد هدانا هذا الوزير الاغرّا
هو عبدُ المجيد ذو النعم واللا ءِ على الناس فالهنَ اسطرًا
من غدا في سما الممالك بدرًا ووحيد الزمان اصبح درًّا
فاسألوا اللهَ يا عبادُ فهذا حظّكم أن يطول قدرًا وعمرا

ومن ظريف شعرهِ غير المطبوع في قافية السين قولهُ يمدح مطران حلب الطيب الذكر بولس حاتم مؤدّبهُ سابقاً (ص ١٠٩):

العقلُ افقٌ والعلومُ شموسُ   والشعرُ روضٌ والمعاني غروسُ
سبحان من اهدى العقول خفيّةً   يُجلى بها المعقولُ والمحسوسُ
والعلم مصباحٌ يُنير وكم بهِ   تُهدى الى سُبُل الرشاد نفوسُ
ما كلّ ذي علمٍ كأرسطو ولا   كلّ امرئٍ بالطبّ جالينوسُ
ما مرّ دهرٌ خالياً من مفردٍ   فيهِ بجلباب العلوم يميسُ
واليوم قمتُ بمدح مَن في دهرهِ   اضحى فريداً شخصهُ المأنوسُ
الاسقف الراعي الامين اخو الهدى   السيّد التحريرُ والنقريسُ
من في رياض العقل منهُ يانعٌ   غرسُ المعارفِ والذكا مغروسُ
آراؤهُ شهبُ الحقائق والهدى   ولسانهُ الناموسُ والقاموسُ
متسربلٌ ثوب الطهارة والتقى   ما شانَ حسنَ نقائهِ تدنيسُ
يا أيّها الحبرُ المعظّم شانهُ   لا شكَّ انَّ الشان منك نفيسُ
ان قمتُ اهديك المديح فانني   اهديك مالك أيها القدّوسُ
اوليتني خيراً وقد فقّهتني   فانا بروض الفضل منك جليسُ
فلك المديح مضاعفاً والشكرُ ما   لاحت بآفاق السماء شموسُ

ولهُ في قافية السين موشح رُوي قسمٌ منهُ في الديوان (ص ١٥٣) ولم تُذكر ادوارهُ الاخيرة في مدح المسمّى نعمة الله. ومن قصائدهِ اللاميّة الحسنة رثاءٌ قالهُ في والدهِ وكان توفي في الغربة (ص ١٤٤) هذه بعض ابياته:

يا روح ان نفدت دموعي سيل   بدمي وبا قلبِ التهب بغليلِ
داءٌ ألمّ بنا فليس دواءٌ لهُ   غير افتقاد حشًى وطول عويلِ
في فقد والدنا الذي لم يبقِ في   احدٍ فؤاداً ليس بالمشغولِ
فردٌ قضى والفضلُ اجمالٌ بهِ   والموتُ كم يسعى لنفس فضيلِ
أبلفٌ بعدك بالنوى عيشٌ لنا   ما العيش بعد نواك غير فضولِ
ان لم يكن رسلٌ اليك ليشرحوا   حالي فإن الروحَ خيرُ رسولِ
ودّعتني قبل الرحيل ولم اكن   ادري الذي سيكون بعد رحيلِ
يا ليت كنّا حول جسمك ركّعاً   لتبرّكٍ كبني اسرائيلِ
ابقيت بالارواح منّا حسرةً   تزدادُ ما زاد المدى بالطولِ
بالارض نوحٌ مذ نأيت وبالسما   للقائك الامـلاكُ في تهليلِ

ولهُ في قافية اللام قصيدة طويلة (ص ١٥٠) اجاب فيها احد العلماء على لغز في العين ختمها بقوله:

فاتزك عينٌ والعيون كثيرة أيا من غدا اكليل تاج الافاضلِ

وفيها ايضاً هجو شيخ جاهل قابل بينه وبين شيخ فاضل فقال (ص ١٥٢):

وما شيخٌ طويل الذقن كهلٌ وليس لهُ كما الصبيان عقلُ
قبيحٌ ماكرٌ برمٌ مُضلٌ شحيح فاجرٌ غمرٌ مُغلُّ
تراءى في ثياب الصدق لكن لهُ بذيول ثوب الكذب رفلُ
لقد شابت ذوائبهُ فشبّت قبائحهُ فذا شيخٌ وطفلُ
لحاهُ الله من غمرٍ جهولٍ لهُ وجهٌ لصفع الكفّ اهلُ
ملئتُ هجاءهُ عجزًا ولكن بمدح اخي الفضائل لا املُّ
كثير الودّ ذو طبعٍ سليمٍ كريمٌ ماجدٌ ندبٌ أجلُّ
فكم شخصت عيون المجد نحوِ وعاد بهِ لسان الحمد يتلو

وفي هذا الباب لاميَّة في ١٩ بيتاً قالها في مدح المسيو جوفروا كنشاير دولة فرنسة في حلب وكان نال له ان يكون تحت حماية دولتـهِ وانقذهُ من جور لحق بهِ (ص ١٥٣) وهذه القصيدة روي منها في الديوان (ص ٢١٨) سبعة ابيات فقط ولم يُذكر فيها الممدوح وسبب المدح. فما قال فيها:

والمرء لا ينفكُّ عن مثلٍ لهُ لكن لمن ارجوهُ ليس مثيلُ
اعني بذلك جفرُوا فخر الالى مَن قد صفت في وقتهِ الاحوالُ
من سيفكم لنا الخلاص من العدى وبنونكم طالت لنا اذيالُ
قد راق مدحي في جميل فعالكم والمدحُ في اهل الجميلِ جمالُ

كذلك ورد في هذا الباب في النسخة المخطوطة (ص ١٥٦) مدح الامير بشير احمد في لبنان لم يُرْوَ منهُ في الديوانَ (ص ٢٢٠) الّا نصفـهُ وسُكت هناك عن الممدوح كقولهِ متخلصا من الغزل الى المدح:

فما حسنُ التخلّص منكِ الّا بمدح امير لبنانَ الفضيلِ
اميرٌ امجدٌ شهمٌ بشيرٌ خطيرٌ احمدٌ بابي الحصولِ
رفيعٌ ذرى الى الدنيا سليلٌ بجيلٍ قد زرى في كل جيلِ
يلوحُ بهالة الافضال بدرًا ويرفلُ من كمالٍ في ذيولِ
لقد وفرت بحورُ الجود منهُ فليس لنا سواهُ من خليلِ
غدا ببهاء لبنانٍ شهابًا لهُ يرجوهِ شرف الحلولِ

ومما لم يُرْوَ لهُ في قافية الميم قصيدة مدح فيها احد بني المدوّر وكان انعم على بعض اصحابهِ فاقترح هذا عليهِ شكرهُ. اولها:

بشرى الكئيب بما بهِ يتنسّمُ فقد انجلى عنهُ المصابُ المؤلمُ

وله في قافية النون وصف لجريدة كانت تُدعى الشتري كانت تُطبع في باريس ولعلّ متولي طبع الديوان اضرب عنها لسبب سياسي (ص ١٨٦) منها :

لِيَ عين تظلُّ جنحَ الدياجي ترقب المشتري فيا سَعْدَ عيني
كوكبٌ قد غدت اشعّتهُ اخبا رَ صدقٍ ما شابها من مَينِ
أن الغرب قد بدا وللُقيا هُ غدا الشرق باسط الراحتينِ
يرشد الناس للتمدُّن والتهذ يب فهو الآتي من النوعينِ
فيهِ شملُ الاخبار يحكي الثريا فاليهِ يُشار بالكفّينِ

وكتب على كيس دخان :

اذا اصابك همٌّ بل نحو بنت الدنانِ
وان يَضِقْ لك صدرٌ يُفرّجْ جذا الدخانِ

وفي الديوان المطبوع (ص ٣١٧) القصيدة التي قالها فرنسيس مرّاش في مدح الشيخ ناصيف اليازجي . الّا انهُ لم يرو جواب الشيخ عليها وهذه الابيات لم نجدها في ما طبع من اشعارهِ ولذلك احببنا ان نثبتها هنا :

دارٌ التي شطَّ عنكَ معهدُها قريبةٌ والديارُ يُبعدُها
وحبّذا بعد ما يُرام عن النفس التي لا تنالهُ يدُها
تلك الفتاةُ التي يشيبُ لها عن فتنةِ العاشقين امردُها
مقصورةٌ في الخيام مقلتُها يقطعُ بيضَ الصفاح أسودُها
رخيمةُ النطق ضمَّ مَبسِمُها مثل الذي ضمّهُ مقلّدُها
كأنَّ ذاك الحديثَ قافيةٌ من ابن مرّاشَ قام يُنشدها
ذاك الهلال الذي يلوحُ بهِ نور البدور الذي سيكمدها
غصنٌ نما في الرياضِ مقتبلًا والدوحُ من مثل ذاك مولدها
افادهُ الله في حداثتهِ مواهبًا لم يزل يجدّدها
اقلامهُ كالسيوفِ ماضيةٌ مرفوعة الشانِ اذ يجرّدها
مواهبٌ يشهد العدوُّ لها برغمهِ والصديق يحسدُها
قامت تخوضُ الظلامَ طالبةً صبحًا الى ضوئهِ يردّدها
لله في الخلق حكمةٌ جرت ونسمةٌ لا يغيضُ موردها
من كان يبغي دوامَ نعمتهِ فلا يكن في الزمان يجحدها

وفي هذه النسخة المخطوطة غير الذي روينا وانّا اوردنا ما وجدنا فيه افادة ويشهد للشاعر بجودة القريحة وذكاء القلب فنقف عند هذا الحدّ

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٧٩ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشره الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

وفي ابتداء سنة الف ومايتين واربعة عشر (١٧٩٩ م) تولى ﴿ عبدالله باشا ثاني مرة ﴾ وبعد ايام قريبة حضر يوسف باشا الوزير الاعظم بعساكر وافرة لمحاربة الفرنساوية وطردهم من مصر وبوصوله الى حمص وحماة طلب عبدالله باشا فخرج من الشام واجتمع بالوزير بحمص. ثم وصل للشام وقتل اناساً كثيرين من الذين عملوا هيجاناً واضطراباً. من جملتهم عبيد الادهمي وهذا كان شريراً والتفّ اليه جماعة معترين (١ نحو اربعين (او) خمسين نفراً وكان ينزل على بيوت اسلام ونصارى ويرضونهُ بالمال. وعمل اضراراً كثيرة حتى راح فيهِ عرضحالات للوزير من اهالي الشام. واما المذكور فانهُ خاف من الوزير فاحتمى عند عبدالله باشا وذهب معهُ وكانت الشكاوات سبقتهُ لحمص. فالوزير طلبهُ من عبدالله باشا فاجتهد ان يخلصهُ وما امكنهُ ذلك. فقبض عليهِ الوزير وجابهُ معهُ والجنزير في رقبتهِ ورجليهِ واشتفت قلوب الناس منهُ. وبعد كم يوم قتلهُ وخفي اثرهُ حتى كان الذين من غرضهِ يقولون ان الوزير نفاه للعجم. وايضاً قتل ابو حمزي وبعض اناس بقساوة اي قتلهم بنيشان من العسكر (٢ وما (٢ 147) كان يقتضي لذلك (٣ لانهم عملوا شروراً كثيرة ولكن كذا صار

واستقام الوزير بالشام اياماً نحو شهرين وفي اقامتهِ بالمرجة كان كل يومين يحضر مشة عسكري من الشمال يستقيمون يومين ويرسلهم لارض غزة. ومن جملة العسكر حضر عسكر من بلاد الروملي زيهم غريب كانوا لابسين كوالك (٤ بروسهم معلق بهِ جرس وهم اوديا. قساة يمالون للفحشاء والسكر ومالوا جهة النصارى يبهدلوهم ويهينوهم. وكان في ذلك الزمان ترتيب قديم لبس قواويق (٥ جوخ الاسلام بشاش

١) اوباش ٢) اي باطلاق العساكر الرصاص عليهم
٣) وما كان يحسن ذلك ٤) الكولك قلنسوة شبه السطل
٥) جمع قاووق والقاووق من ملابس الرأس اسطواني مستدير كالدنّيَّة

ابيض والنصارى بشاش كحلي واليهود بشاش احمر وكلٌّ معروف امرهُ ولا احد يتعدَّى الرسوم. والذي كسبهُ شال لا يمكنهُ يلبس قاووق. فالان بحضور العساكر صاروا يلتفتون للنصارى ارباب القواويق يظنونهم اغنياء فيلصونهم ويهينونهم مع اليهود. فالتزموا الجهتين ان يغيروا لبس القواويق ويلبسوا شال سنجابي وكحلي واليهود ابطلوا لبس الاحمر وصاروا يلبسون حكم (مثل) النصارى حتى ما عادوا يتعرفون الّا من لهم سالف شعر. واما الاسلام فانهم بقيوا (بقوا) على كسمهم يلفون على القاووق شال ابيض والأشراف اخضر. الى بعد مدة سنين صدر امر سلطاني بابطال لبس القاووق كلياً وما عاد له وجود ولا احد يعرفهُ من المحدثين

ثم ان الوزير قام من الشام لغزَّة وقبل سفره بايام احضر عبدالله باشا وولاهُ بالشام فاستقام ثلاث سنين وينيف

ومن الحوادث في ايامهِ ان القيقول (١ بالشام قصدوا فتنةً وشروراً واغا القلعة مصطفى ارفلي اوكوكتلي سكَّر القلعة والتزم ان الباشا يحاصرها وحصل شلش (اضطراب) كبير. واخيراً من الضيقة والجوع طلبوا الامان. فقال لهم الباشا: لا يكن (ان) ارضى عليكم ما لم تسلموني مصطفى اغا وبعدهُ عليكم امان الله. فتشاوروا فيما بينهم وحسن عندهم ان يسلموه ويخلصوا من الضيق الذي هم بهِ. فدخلوا عليه وربطوه ودلّوه من القلعة فاخذوهُ لقدَّام الباشا وبالحال خنقهُ ورماه بالسرايا. وحينئذٍ فتحوا الباب وخرج الجميع وما حصل عليهم ادنى ضرر من الباشا وهمدت البلد

ثم ان الباشا تحرَّك لمحاربة مصطفى بربر متسلم طرابلس وتوجه (١٤٧°) بنفسهِ بعسكر وحاصر القلعة بقوة شديدة وطال الحال والتزم بربر ان يلتجي الى احمد باشا الجزار والمذكور كان عمَّال يكاتب الدولة على منصب الشام. فما اعطى جواب لبربر عن شي. بل على غفلة بوصوله للمنصب ارسل الاوامر للشام الى محمد عقيل صحبة القين عسكري دخلوا ليلاً. وكتب الى عقيل المذكور ان يمسك البلد ويمسك حالاً عبد الرحمن افندي مرادي وحسن آغا دفتردار المتسلم وابن سيح متسلم حمص ويقتلهم حالاً. فالاثنين المتسلّين مسكهم في مخادعهم وهم نيام. اما عبد الرحمن افندي فانهُ جاءهُ نذير فهرب. والى ثاني يوم حصة (نحو) العصر حتى وجدوهُ في

١) القيقول وفي التركيَّة قپوقول ومعناها عسكر الباب اسم لستّ فرق من الجند

حارة الجديدة مخبّى في بيت فسجنوا الثلاثة في القلعة ونادوا باسم الجزار. فبلغ عبدالله باشا ما صار بالشام فقام حالاً عن طرابلس وحضر للشام حتى ينظر الخبر. لان ما كان عندهُ علم عن شيء من اسلامبول. فلمَّا تحقق انهُ صحيح وان الدولة متغيِّرة من نحوه جدًا خاف وبالحال ذهب لعند العرب ودخل بالشول (بالبرِّيَّة) الى ان وصل لبغداد واستقرَّ هناك. ومصطفى بربر طلبهُ الجزار لعكا فتوجه حالًا ورجع ثاني متسلم كما كان حيث طرابلس تابعة حكم الشام وكان ذلك في سنة الف ومايتين وثمانية عشر (١٨٠٣ م)

﴿ تولي احمد باشا الجزار ثالث مرَّة ﴾ وكان الجزار يكتب الى محمد عقيل بيلرديات باشيا. متعارفة تخصّ الاحكام ونظام البلد. والمواد الجوهرية كان يكتبها بوريقة لعلم ما يريد عملهُ ويضعها ضمن البيلردي بغير ختم استدراكًا منهُ حتى لا ينسك عليه غيطة (١. وهكذا لما امرهُ بقتل عبد الرحمن افندي والباقي كان بورقة برانيَّة. واتَّا محمد عقيل كان عاقلًا ويستدرك الامور. فمن لجاجة الباشا بقتل المذكورين ما رضي يقتلهم بل وضعهم في بير بطرف القلعة ناشف ولهُ نافذة بالسور لاجل الضو ودخول الهوا. كأنَّ المكان اوضة عميقة بالارض. وفكَّر ان ربما الباشا يعفي عنهم فيكون ارتاح من غائلة المفتي. وربما انهُ انزل معهم اكلًا وشربًا. والحال انهُ ما صار من الباشا شيٌ. بل (بقي) الامر كما هو. وماتوا ضمن البير وبقيوا (وبقوا) فيه الى حين ظهر امرهم فيما بعد. ثم بعد أيام قريبة (148') انطلب محمد عقيل لعكا وقيل انهم اخذوهُ وبوصولهِ وضعوه بالسجن وعذبوه (كي) يقرّ على الاموال التي عندهُ. فمن العذاب اقرّ على مخباية بدهليز بيتهِ بالحيط فارسل الى كتخ احمد متسلّمهُ ينظر ذلك فوجدوا مبلغ ريال قنس (؟) سكة السلطان مصطفى قيل انهُ كان اثنا عشر حمل ربما عشرون الف ريال واكثر وارسلوهم لعكا

وبوقتهِ حضر قبوجي (٢ من طرف الدولة بالملامة على الباشا بقتلهِ عبد الرحمن افندي ضدّ الرسوم وان بيت المرادي يمثلون نظير العامة. فلمَّا اطلع الباشا على الكتابات خادع القبجي وارسلهُ للقناق (٣ ليرتاح وثاني يوم عمل ديوان وحضر القبجي

١) كذا. ولعلَّها « غلطة »

٢) رواها على صورتين قبوجي وقبجي ومعناها الحاجب ٣) المنزل بمنزلة المسافر

وانطلب محمد عقيل وهذَّره (١ الباشا وقال لهُ: كيف انك تجاسرت وقتلت المفتي وصار يشتمهُ ويكبر عليهِ الوهم. اخيرًا طلب منهُ ان كان معهُ امر صريح بقتلهِ يظهرهُ. فابن عقيل انخبل وما بقي يعرف كيف يجاوب فلزم سكت (ان يسكت). وصار الباشا يرغش (يغلِظ) بالحكي ويلتفت للقبجي ويقول له ان اهل الشام بهايم وعندهم بغضة ورداوة في بعضهم ولا يقدّرون العواقب. وان هذا بينهُ وبين المفتي عداوة فلما صار لهُ فرصة قتلهُ وهذا لهُ زمان زربا (٢ بالشام ولهُ عَزْوه (٣ من اهل الميدان ودايمًا يظهرون عصاوة على الوزير ويطردهم من الشام بمطابقة هذا الرجل. وبالنتيجة اظهر الجزار براءتهُ من قتل المفتي ثم اظهر غضبًا شديدًا وارسل عقيل للحبس وارسل عمر اغا تفنكجي باشي خنقهُ وقطعهُ اربع قطع ووضعوهُ ضمن قفة ورموه بالبحر واظهر قدام القبجي انهُ لا يريد ينجس الارض فيهِ وكتب جواب للدولة بما توقع ومضى الامر

ثم الذي عملهُ الجزار بهذه السنة بالشام من المظالم والقاهرات ابلغ من كل ما تقدَّم. وهرب اغلب المستورين حلب والجبل والذي وقع انضام جدًا. ومن الجملة حاش (مسك) نفرَين تجار معتبرين محمد صواف وامين قباقيبي واهانهما جدًا واخذ منهما مالًا كثيرًا وطلب القباقيبي لعكا ووضعهُ بالسجن وكان قاصدًا اعدامهُ (1487) بسبب خيانة صدرت منهُ قديمًا بسعيهِ في عزلهِ من الشام وتولي عبدالله باشا لانهُ اسعف المذكور بمبلغ مال دفعهُ عنهُ للدولة في اسلامبول. وكان القباقيبي دايمًا مضطربًا وخايفًا من الجزار حتى رمتهُ المقادير ووقع بخطر الموت

وهكذا مضت هذه السنة على اهل الشام بغاية الكرب والكدر وكان الشيخ طاها الكردي المتقدم عندهُ في عكا وبيدهِ الحلّ والربط رجلًا رديًا مغضوبًا ليس عندهُ شفقة ولا رحمة. وارسل للشام جماعة اكراد قساة لاجل يعذّبون الناس

وبهذه الغضون كان الجزار اعتراه مرض الاستسقاء ومشغول فكرهُ من مرضهِ وطاها الكردي يعمل ما يريد الى ان الله تعالى اذن بالفرج بموت الباشا في سابع وعشرين محرم سنة تسعة عشر ومايتين والف (١٨٠٤ م) موافق اربعة وعشرون

١) وبخهُ واهانهُ ٢) اي انهُ متمرّد وقاطع طرق ٣) اي انصار واصحاب

نيسان (١ صباح احد الفصح وذلك كان رحمة من الله لان الكيل وصل لحده وما كانت الناس تصدّق انهُ مات لولا تواتر الخبر من كل الجهات. وقيل انهُ قاسى اوجاعاً مهولة في مرضهِ وزال من الدنيا وسبحان الدايم الباقي. ودفنوه ضمن الجامع الذي بناه

وحين وصل الخبر للشام استلم البلد القاضي وهاج الناس وقتلوا هاشم اغا واولادهُ وهذا كان صار متسلّماً بالشام ولهُ امور رديّة وقصدوا يقتلون كتخ احمد المتسلّم فهرب للقلعة وتحصن. والقاضي نصب متسلّماً والي اغا. وهذا كان لطيفاً وانمّا ما امكنهُ يضبط البلد وكانت فالتة كانها بغير حكم وآغا السكمان (٢ واقف قدام اهل البلد بالقلعة وضرب مدافع كثيرة واحترق جملة بيوت ودكاكين. وارضوا المذكور بماية كيس وهي منضّة (٣ على قوله وقال انهُ متى دفعوها له يقوم من الشام. وبالحال فرضوا ذلك: سبعين كيساً على الاسلام وعشرين على النصارى وعشرة على اليهود. وحينما جابوها لهُ ما قبلهـا وقال انهُ لا يقوم من الشام الأبامر الدولة وصار الحال مكرباً

ثم ان اهل البلد قتلوا علي آغا الشاغ (149ر) هذا كان عواني شريراً. فنزلوا الى بيتهِ وقتلوه ثم ربطوا حبلاً برجليهِ وجروه الى الباب الشرقي ورموه في قليط (٤ وبعدهُ جاء اهلهُ وغسلوه ودفنوه. ثم فتشوا على المذبين الاكراد فبجهدٍ وجدوا منهم سبعة انفار مختفين في تل منين فقيدوهم وجاءوا بهم للشام بحال مهين بضرب وعذاب وكان الاكراد يقولون لهم: اقتلوا ولا تعذبوا. ولكن الناس كانوا مقهورين منهم من قساوتهم الردية. ثم قتلوهم وقتلوا غيرهم ايضاً ومع وجود هذا الهيجان والشلش (الاضطراب) بالبلد ما صار تعدي على احد

ثم في شهر صفر حضر اخبار تولّي ابراهيم المحصّل الحلبي

تتولّي ابرهيم باشا ثالث مرّة هذا كان والياً بحلب فارسلتهُ الدولة والياً على الشام وأرسل من قبلهِ متسلّم اسمهُ سيفي آغا لحين حضوره. وبهذا الشهر وصل

١) بموجب الحساب الشرقي
٢) السكمان فرقة من الانكجارية
٣) اي يُقضى بها المشكل
٤) مجرى الاقذار

سليمان باشا بالحج وهـذا كان ارسلهُ الجزار امير حج بسبب تشويشهِ . واستقام الباشا المذكور بالشام يتنظر جواباً من الدولة بسبب انهُ لا يمكنهُ يروح لعكا لان اسمعيل باشا تملكها بواسطة تدبير طاها الكردي والامور واقفة

وفي هـذا الشهر وصل ابرهيم باشا الشام والعسكر الذي كان مع سليمان باشا لمحافظة الحج راح لعكا وراح معهم كتخ احمد والعسكر المذكور نهب في طريقهِ جملة قرايا

وفي هذه الاثناء صدر مناداة بالشام من ابرهيم باشا بان تمتنع النصارى واليهود من شرب العرق والخمر ويرفعوه من بيوتهم وصار فحص وتفتيش واضرار . ومن الوهم كنت تنظر كل من عندهُ خمر وعرق يهرقهُ في السكة

ثم في ربيع اول ورد فرمان الى ابرهيم باشا تقرير ولاية الشام وصيدا وطرابلس . وحضر فرمان الى الامير بشير حاكم الجبل ومكتوب من الوزير الختّام عنوانهما ان يكون بطاعة ابرهيم باشا ومسعفاً لهُ في اصلاح حال صيدا والسواحل . وارسل ابرهيم باشا كتابة الى امراء الجبل يحرضهم على محافظة البلاد وان يكونوا مطمئنين من سائر الوجوه

صورة الفرمان

(لتولية ابرهيم باشا)

(149) قدوة الاماثل والاقران القاطن في ايالة صيدا زيد قدرهُ

بكون سلوك هذا التوقيع الرفيع الهمايوني الواصل اليك هو انهُ في هـذه الاثناء جزار احمد باشا والي صيدا ارتحل لدار البقا ووجّهنا ايالة صيدا والشام وطرابلس الشام واميرية حج وسرعسكرية الحجاز الى عهدة الدستور المكرم والمشير المفخم نظام العالم وزيري الحاج ابرهيم باشا ادام الله اجلالهُ وامرناه بان يقوم على جناح العجلة ويتحرك الى جهة صيدا وتلك المحلات يستقيم لاجل ضبط وربط المملكة ودفع اهل الفساد . وانت ايها الامير المومأ اليه تكون تحت امر ورأي الوزير المشار اليه وتظهر حسن الخدامة والصداقة وكمال الغيرة . فبناء على ذلك اصدرنا لك امرنا هذا الشريف خصوصاً وارسلناه حال وصوله تكون انت والمشار اليه رأي واحد في سائر الاحوال ساعياً بحسن الغيرة لا بارك بيهِ . واحتذر المخالفة على الوجوه المشروحة بموجب صدور اوامرنا الشريفة تكون ممتثلاً ومتنبهاً . واعتمد هذه العلامة الشريفة غاية الاعتماد . تحريراً في اواخر صفر سنة تسعة عشر ومايتين والف (١٨٠٤ م)

وكذلك المكتوب من الوزير بنص ذلك . ثم ونظير هـذا الفرمان حضر الى

يوسف الجزار بنابلس والمضمون جميعه لاجل ضبط البلاد ومنع الفساد . وباطن الامر تنبيه حتى لا احد يلتفت الى ناحية اسمعيل باشا الذي اعتمد المصاورة في عكا ولا يريد يسلمها الى ابرهيم باشا وصار عندهُ عساكر وافرة سيما العسكر الذي كان بالحج . اما ابرهيم باشا فانهُ عزم على التوجه لصيدا وارسل عسكر وجبخانة (١ . وفي ستة عشر ربيع الثاني قام الى صيدا اولًا . وقبلًا بيوم راح سليمان باشا لصيدا وهناك يحصل التدبير في مادة عكا . ثم توجه سليمان المذكور بالبحر لعكا لاجل يعمل موافقة مع اسمعيل باشا وما صار افادة والتزم يقوم الى عكا وحصلت محاربات كثيرة بينهم وايضاً حضر عمارة (اسطول) بحرية واشتدت الامور واسماعيل باشا ووجوه العسكر خامروا (تآمروا) على طاها الكردي وقتلوه لانهم لحظوا خيانة صدرت منهُ

ثم انَّ اسماعيل ('150) باشا اجتهد كثيراً بالحروب واخيراً غلب وهرب وحاشوه (وامسكوهُ) في قرية شفاعمر واوسلوه لاسلامبول وقيل انهم هناك تشفعوا فيه . ولكن بعدهُ تحققوا انهُ قُتل واوسلوا حكم منصب صيدا الى سليمان باشا وابرهيم باشا انتقام من عكا بامر الدولة وجاء للشام ثم انعزل من ولاية الشام وتوجَّه لديار بكر وحضر المنصب لعبدالله باشا في سنة الف ومايتين وعشرين (١٨٠٥ م)

﴿ تولي عبدالله باشا ثالث مرة ﴾ فحضر للشام ولكن في غياب ابرهيم باشا في عكا حصل فتنة بالشام ردية جداً بين الانكجارية والقبيقول وصار حروب بينهم ومجاريح وقتل وحريق اسواق ودكاكين من ضرب المدافع من القلعة . فلما وصل عبدالله باشا للشام هدت (هدأت) الامور نوعاً ولكن في غياب الباشا بالدورة اشتدت الامور فارساوا اعلموه فوعدهم انهُ قريب يحضر . ومن عدم التدبير من الباشا طمعوا فيه لان غرضهُ كان مع الانكجارية . ولكن ما نفعهم بشي سوى انهُ قوى عبارتهم واحدقوا الشاغور وخلافهُ . اما القبيقول فقد اعانتهم القلعة وبطشوا بالانكجارية بغتة وقتلوا ثلاثة انفار صالح قطان واثنين آخرين قتلهم اسمعيل اخو

١) الجبخانة الذخائر الحربية كالبارود والاسلحة

عبد الرزاق آغا القلعة وبسبب ذلك هجم الانكجارية وكدوا على جرحهم . فحضر الباشا وما ظهر منهُ شيء وعبد الرزاق متحصن بالقلعة والباشا ضامر له السوء . ولكن لا يمكنهُ محاصرة القلعة بسبب مداركة (١ امور الحجّ . فهمّد الشرّ بين الجهتين بواسطة كنج يوسف دالي باش وهذا كان صديقاً لعبد الرزاق . والباشا خلع على اسمعيل بيد آغا بجماية كنج يوسف المذكور

ثم حين طلوع الحجّ اقام كنج المذكور متسلماً بالشام وحالاً اظهر مرجلة وتول بالدورة بالليل وقتل رجلاً انكجارياً نظرهُ بالليل بغير نور . فناداه : من انت . فجاوبهُ بصوت عالي : انا فلان انكجاري . فضربهُ بالسيف فرمى راسهُ . (فلما) اصبح الناس ونظروا ذلك انوهموا وهابوا وتوجه الباشا بالحجّ . ففي المزيريب رجل قبيقولي قتل نفرًا وهرب (150 *) فكتب الباشا المتسلم عنهُ فمسكهُ وقتلهُ ودخل الخوف على الجميع . ولكن القبيقول بقيوا رافقين (اي بقوا متمليين) بسبب ان المتسلم من غرضهم . والباشا قبل سفرهِ امر بعمار ما خُرّب من الاسواق واستكنت الاحوال

ثم انهُ في شهر (ذي) الحجة ورد اخبار برجوع الحج والباشا الى المزيريب هرباً من عبد الوهاب الذي تسلط على الحجاز وجمع غفير تبعوهُ (وشاع) القول انهُ من حين وصل الباشا لتلك الاماكن قام عليهِ الاهالي ومنعوه من الدخول الى بلادهم ودعواهم انهُ اخذها الوهابي . وما كان احد يتحرك لمرافقتهِ حتى ان الوهابي ارسل علماً للباشا ان كنت تريد تحجّ لا باس ولكن بشرط تسلمني السنجق والمحمل وسلاح العسكر وانا اخفرك للشام . وان ما ارتضيت فاطردك . وكان كيخية الوالدة (٢ مع الباشا . فعمل الباشا ديوان بحضورهِ والصرة امين (٣ واشهر لهما انهُ يحارب الوهابي فنعاه واشاروا اليهِ ان يرجع للشام وهما يعطيان جواباً للسلطان واخذ منهما سنداً بختمهما بذلك ورجع للشام بغير حج بسرعة كلية

وبقي هناك جانب من الحجاج منهم قعدوا بالطريق ومنهم تاهوا وقاسوا الاهوال من التعب والعطش حتى وصلوا للشام ومنهم حجّوا برضى الوهابي ورافقهم جماعة وهابيّة الى اراضي الشام

---

١) قرب وصول ٢) بريد والدة السلطان

٣) الصرّة امين هو ناظر المال

وحين وصول الباشا للشام صار ضوجـة (ضجة) واضطراب بين الاسلام. اخبرنا رجل عمدة كان بالحجّ انهُ لـما حضر الشريف الكبير الى خيمة الوزير ومعهُ رجل من اتباع الوهّابي صار يحكي الشريف عن سطوة الوهابي واقتداره وانهُ غير ممكن يخلّي الحجّ يمشي بهذه الطريق وصار يتلاوم على دولة الشلي (العثمانيّة) وان ما عاد لها تدبير وتركتوا لهذه الحدود حتى خربت البلاد والمقام وان هذا ما عاد منـهُ رجاء باصلاحهِ. وكان بالديوان كيخية الوالدة فجاوب الشريف بكلام ركيك فقام اليـهِ الشريف ومسكهُ من لحيتهِ وقال لهُ: كل الغضب منك لانني حينما توجهت لاسلامبول منذ خمس سنين ونزلت في بيتك وتكلمت معك كثيراً بهذا الخصوص وتوجيتك تجمعني بالسلطان وانت تحادف (تماطل) (′151) واستمت عندك ستة شهور ومـا كان يمكن تدعني املك اربي ورجعت خائباً. ثم حلف يميناً لولا الخواطر قتلتك مكانك. واظهر غضبه وتكلم بالديوان اننا نحن والوهابيّة عليكم. وقام مع ارفاقهِ مغضباً وبعد ذهابهم التفت كيخية الوالدة وخلافهُ الى الباشا وحسنوا لهُ الرحيل لئلا يجد شيئاً ردياً. فحالاً قاموا بسرعة وجدُّوا بالسير ركضاً. القول (يقال) انهم اخذوا القناقين بقناق (١ والذي فكروا فيه تمّ. لان الشريف برجوعهِ الى مكة ندم على تركهِ الجماعة فجمع عسكراً وجاء عليهم فما رجدهم فركضوا في اثرهم فما حصَّلوهم وهكذا سلموا منهم على اهون حال

ثم بعد حضور الباشا طمع بهِ اهل الشام والتسلّم نزل عن وظيفتهِ. فبعد ايام نزل حرامية على بيت الباشا وتخسب (٢ جداً لربما قصدوا به ضرراً. فحصل شاش واحتساب كبير وثاني يوم جاب معمارية ونجارين ورفع الحيطان والطبـلات وبهذا الصنيع طمعت بهِ الناس والبلد صارت فالتة كلياً. واما عبد الرزاق فانهُ استقام بالقلعة ما طلع منها ابداً. والباب مفتوح وعليهِ حراس. فبعد أيام قليلة شاع الخبر بعزلهِ من ولاية الشام وتولى كنج يوسف الدالي باش المذكور

وكانت ولاية عبدالله باشا سنتين وهي الاخيرة من احكامهِ. وفي زمان حكمهِ وقع حيط البرج بالقلعـة بالطرف وظهر البير الذي وُضع فيهِ عبد الرحمن

١) القناق بالتركيّة المرحلة وتُبعد اليوم
٢) تخوَّف وتحذَّر

المرادي وارفاقهُ. وهذا البير بمنزلة جبّ تحت الارض بجيط السور وهو واسع ولهُ نافذة تسمى زغلول على السور يدخل منها الضوء فراح الناس لهذا المكان يتفرجون عليهِ فوجدوا المفتي متكي بثيابهِ وبَلِي وجههُ. انما امرهُ ظاهر. والدفتردار ملقًى على قفاه وابن سبح نظروه ناحية الطاقة مطبوباً على وجهه. حال محزن. وكان محمد عقيل قبرهم احيا. فاعرض اقربا. عبد الرحمن افندي المفتي لعبدالله باشا انهم ينقلون جسمهُ الى تربتهم في بيتهِ بسوق ساروجا فما ارتضى الباشا انهم ينقلوا جسمهُ وقال: ان هذا الحال مستغرب ويصير منهُ شلش (١٥١). ثم طلب المعار باشي وامرهُ ان يبني بوجه السرعة حيط البرج ويرجعهُ كما كان وتمَّ ذلك حالًا وبقي كل شي. بحالهِ ومضى الامر

❀ تولي يوسف باشا ❀ في شهر صفر سنة الف ومايتين واثنين وعشرين (١٨٠٧) ورد العلم من الدولة بولاية المذكور. وبوقتهِ كان في حوران فراح المبشرون لهناك وبالحال حضر للشام. وعبدالله باشا لزم بيتهُ وراح سلَّم على يوسف باشا وقدم لهُ المذكور الاكرام اللائق لكونه وليّ نعمتهِ

ثم بعدهُ جا. امر بقيام عبدالله باشا الى ادنه. فقبل ذهابهِ اعطى الى يوسف باشا المال الذي لهُ عندهُ وحيث ما وجد عندهُ غرش يكفيه فاستدّ منهُ طقومة وغيرها وبوقتهِ انحاش (قُبض على) درويش اغا ابن جعفر اغا كتخداه عبدالله باشا. سجنهُ (يوسف باشا) بالقلعة وتهددهُ بالعذاب واخذ منهُ مبلغ مال وخيل وطقم. والناس صاروا في وَجَل وخوف من الباشا لانهُ ضيقهم حين كان متسلم فكيف الان. ولبس (وسّى) كتخداه الشريجي حسن آغا تتر وهذا عميد الانكجارية واستكنت الوجاقات (١ لان الخوف دخل على الجميع وقتل بعضاً من المحبوسين الحرامية وكل من اذنب من جديد والذي يقع ليس لهُ شفيع ولا رفيع

اعلم ان هذا الباشا اصلهُ كردي شراه ملّا اسمعيل واخيرا فاق على سيدهِ وخدم عند عبدالله باشا وصار دالي باش (٢ وضمن ضيعاً واراضي وجمع اموالًا غزيرة وانشأ بيتاً معتبرًا بالشام ومن رخاوة الحكم طمع بالناس وتظاهر بالقوة والاقتدار وجعل

---

١) الوجاق الاسق من الجند والمقاطعة والناحية

٢) اي زعيم قومهِ

له معرفة من اعيان الدولة في اسلامبول بواسطة رجل حمصي يدعى عبود البحري (١ كاتب عند عبدالله باشا. ففي مرور كيخية الوالدة للشام بقصد الحج نزل في بيته وقدم له اكراماً كلياً وفي غيبته بالحج كان متسلماً فصار يرسل كتابات لاعيان الدولة وترجى منصب الشام. ومن كونه في مشروب الدولة استند على عبود المذكور حيث ان المذكور يفهم جيداً انشاء الكتابات ومختبر حال الدولة بسبب خدمته عند الوزير سنين. فاستوت الطبخة وانكتم السر حتى حضور الحج وبالاخص ان الدولة كرهت عبدالله باشا من مزاياه وعدم ملاحظته (152ʳ) بتدبير الاحكام. والأبلغ في عزله رجوعه خائباً من الحج. وبعد مجي كيخية الوالدة وتوجهه الى اسلامبول سعى في ولاية يوسف باشا باجتهاد وافهمهم عن شطارته ومعاركته بالحروب وانه يمكنه محاربة الوهابي وينتصر عليه فارسلوا له المنصب

ثم انه بعد ايام قريبة من توليه ظهر منه اشيا. مغايرة. اولاً صدر منه امر بمناداة ان النصارى لا يشربون خمراً وعرقاً والذي عنده يهرقه خارجاً وانه بعد ثلاثة ايام ينزل بنفسه يفتش بالبيوت ومن وجد عنده درهماً واحداً يقتله حالاً. فخاف النصارى ونزعوا اكلها عندهم. ثم امر ايضاً ان النصارى لا يدخلون الحمام بين الاسلام بل لهم يومان بالجمعة فقط ويكون لهم المسك والخراب فقط لا غير. ومنها انه يبطل لبس القصب والمصاغ لكامل النساء اسلام ونصارى. وبالنتيجة صدر في يوم واحد جملة امور على هذا النمط وكل كم يوم يخترع من عقله اشيا.. واغلب الاوامر ما سلكت (لم يُعمل بها) عدا الذي يخص النصارى. ثم امر بتغيير الاوزان على الرطل الحلبي سبعماية وعشرون درهماً. وتحرر القبان والارطال على موجب ذلك وصار الحرير والخضار (الخضرة) بموجب ذلك وزن واحد. وتسجل هذا الامر بدون مراجعة. وهذه صدر منها ضرر كبير بالشام

ثم ان الباشا بالحيل والمحارفات (صار) ينشي (يخترع) مظالم وعمل ذنوب الى عبد الرزاق افندي نائب القاضي بما يخص تركة الاموات واخذ منه ماية كيس بعد الضرب والبهدلة. ثم عمل حادثة على اموال الكار ماية وخمسين كيساً خص النصارى منها الثلث. ولحق بعض الحرف وكذلك فعل ببعض الحرف

١) اطلب اخبار اسرته في المشرق (٣: ٩٦-٢٢)

وفي ربيع الثاني صار زينة بالشام على شان جلوس مصطفى سلطان جديد وامر الباشا ان تصير الملاعب واللهو والطرب من كامل الحرف. وبقي ذلك ثلاثة ايام وامّا اهل الشام (فكانوا) دائماً بالاحتساب من الباشا والبلد صارت بالامان من تعدي الاوباش وطلب السكر وغيره

وبهذه الغضون عزم الباشا على التوجه بالدورة لنابلوس والقدس وما يتبعهما والبس (عيّن) قيمقام شمشان اغا (١٢٥) الكردي واخذ معهُ الدرويش جعفر اغا واحمد بيك ابن عبدالله باشا وذلك بقصد منهُ وخشيةً من اضطراب وشلش يحدث في غيابهِ. وبوصولهِ لنابلوس ارسل امر الى شمشان اغا المتسلم بان يقبض على اسمعيل اغا الهاييني الشرجي ويقتلهُ حالًا. فاحضرهُ للسرايا واراه الامر وبالحال اخذوه للقلعة وختقوهُ بالوقت. وهذا كان لطيفاً وليس لهُ اذية لاحدٍ

ثم بعد رجوع الباشا من الدورة ارسل امرًا بمناداة عالية ان رجال ونساء النصارى يلبسون الاسود لحدّ الحذاء. وانهم يعلّون ابواب كنايسهم حتى اذا فات المسلم لا يحني رأسهُ وان النصارى تكرم الاسلام ولا يرفعوا اصواتهم عليهم على سائر الوجوه. وامور نظير هذه مقهرة ومن ذلك طمعت الاسلام وصار يحدث منهم امور مهينة في حقّ النصارى. ومن الجملة نصراني كان حمّل حطباً على كديش فلما دخل بسوق باب توما وكان ينادي «ظهرك بالك» حكم (حسب) العادة تعرض لهُ رجل مسلم وجمع عليهِ انفارًا نظيرهُ وصاروا يضربونهُ. واخذوه لعند النقيب (وكانت) دعواهم انهُ رفع صوتهُ على المسلمين. وزادوا انهُ احكى كلاماً غير مرتب. فقال لهُ النقيب: ان كنت تكلمت ذلك من فمك فقط وجب عليك الحرق وان كان من قلبك وجب عليك الاسلام والّا فتُقتل. فصار الرجل يتوسل اليهم وبعد جهدٍ تركوهُ سالمًا. وكذلك صار جملة نوادر نظير ذلك وحصلت النصارى في ضيق ووجل

ثم ان اسلام باب توما هاجوا على الافرنج وحسن عندهم ان يقتلوا الرهبان ويخربوا الدير وبدت منهم امور ردية في حقّ الرهبان. والمذكورين دخل عليهم الوهم وبدروا جانب غرش (ودفعوا شيئاً من المال) الى الاغاوات والقاضي وغيرهم لكيما يحموهم من الضرر. والقاضي تهدد الناس فاشتكوا للباشا فجاوبهم ان الافرنج انا ما اقارش

(لا اتكلم في) امورهم وان كان عليهم ذنوب فاشكوهم لباب همايون. فلما نظروا عدم الافادة في تنفيذ مآربهم عرضوا للباشا انهُ يوجد مسجد خربان بالساحة خلف دير الافرنج نريد نعمرهُ فقال لهم (153'): روحوا عمروهُ وامر لهم بايبتين غرش فنزلوا من السرايا مسرورين. وابتدوا في بنائهِ وفوضوا على بعضهم من غرش الى خمسة غروش على كل نفر. والحال هذا محال لا يكفيهم لبناء الاساس. فصاروا يبوّتوا الامور ثم عزموا على تفريغ بيوت النصارى الذين بالساحة وطردهم من كل الساحة التي اغلب سكانها نصارى ومن الجملة يوجد بيوت وقف تعلق (تخص) الموارنة فعملوا ثمنة زايدة بشأن ذلك. فراح احد الساكنين اشتكا الى الكتخداء بما توقع فحالاً ارسل الذكور ومسك المسلم الـذي اشترى على النصراني وحبسهُ. وثاني يوم راح النصراني ترجى فيه واطلقهُ والنا الكيخية اظهر غمهُ من هـذا الصنيع وقال للاسلام: انكم ان بنيتم الجامع فـكرره ولا تفتحوهُ الاّ حين الصلاة. فلما نظروا انهم لا يستفيدون شيئاً تركوا بناء الجامع لاسيما انهُ بهذهِ القضون صدر امر بمناداة عالية ان لا احداً يتعاوض ولا يبقى في رفيقهِ ان كان مسلماً او نصرانياً او يهودياً لا في بيع وشراء ولا في غير شيء. ثم ان كامل المسلمين من عمر اربعة عشر سنة وصاعداً يسنبوا (يرخون) لحاهم ويكحلوا عيونهم ويحنّوا دقونهم والـذي يخالف لا يأمن ما يجري عليهِ. ثم ان التهاوى تسكر حين غروب الشمس وتبطل عمل الأكولات (المأكولات) بعجين وسمن. ونبّه على الكوراجية لا يطبخوا بالسرايا الاّ برغل بزيت واستدام ايام لا يأكل حلاً ولا مأكلاً دسماً بل خبزاً وزعتراً واشيا. نواشف. وبعدهُ استشار شيخهُ الكردي ان يديرهُ في مأكلهِ. فاراه ان المال الذي عندك هو مشبوه لا يجوز لك تأكل منهُ فسألهُ الباشا: اي مال هو حلال الذي يجب ان اصرفهُ على نفسي. فاجابهُ الشيخ: ان المال الصافي الخالي من الشبهة هو مال الجزية. فحالاً طلب من النصارى سلف عن مال الجزية خمسة اكياس عن سنة الف ومايتين وثلاثة وعشرين (١٨٠٨م) ودفعوا لهُ مطلوبهُ. ومن جرى المناداة على الاسلام كما تقرر خف الشلش (الخوف والاضطراب) عن النصارى وانشغلوا في همومهم (اشغالهم)

ثم بهذه الأيام (143') حسّن الى عبود البحري كاتبهُ ان يدخل في دين

الاسلام فاوعدهُ حتى يشاور نفسهُ. وبتلك الليلة ذاتها هرب مع اخوتهِ للجبل ثم لدير القمر والباشا ندم على ذلك حيث لا يستغني عن عبود المذكور. فارسل لهُ كتابة تطمين وانهُ لا يتعارضهُ ويحضر لشغلهِ فتوقف عن الحضور وبعد مراجعات وكتابات للامير بشير بان يرسلهم حضروا بعد غيبة شهر زمان وما صار عليهم خلاف

ثم بهذه السنة لوسل عسكراً بالحج في شهر شوال ولبس امير حج. وفي شهر محرم حضر خبر برجوع الحج الى المزيريب مطروداً ومنهوباً. القول (وقيل) ان الشريف منعهم من الدخول وطردهم بجماقة زايدة وقال لهم: ليش (لماذا) الباشا ما هو معكم. واظهر لهم عين الغدر فالتزموا يرجعوا وصادفهم العرب ونهبوا منهم اشياء وهؤلاء العرب هم المحافظون ولهم الصر (العطاء) المتاد وما دفعوا لهم. وصاروا بمذهب الوهابي (وانحازوا اليهِ). ودخل الصره اميني للشام وتشاجر مع الباشا وطلع من الشام بزعل. وارسل الباشا الكتخداه جابوه من عند القابون (١ واخذ خاطره لانهُ خشي يفرط (يدسّ) في حقهِ للدولة

وبهذه الغضون وصل جملة خيل عرب من الوهابي لقرب الشام ومعهم مكاتيب الى الاعيان مضمون كلامهم التسليم وانهُ قادم للشام جديع القبلان ابن قاسم وابن عم مهنا فاضل شيخ عرب عنزة بجموع كثيرة وحصل وهمٌ عظيم على اهل الشام ولكن ما عاد حضر احد (لها بقية)

صفحة من التاريخ الحبشي والنوبي

رسالة نجاشي الحبشة الى جرجس ملك النوبة

في عهد بطريرك الاسكندرية فيلوثاوس (٩٨١—١٠٠٢)

لجناب الكاڤالير عبد الله افندي رعد

مدرّس الكيمياء في مكتبنا الطبي. مقدّم فخري وسر اجزائي بلاط امبراطور الحبشة سابقاً

تقيم الكنيسة الحبشيّة تذكار نياح البطريرك فيلوثاوس الاسكندري في اليوم

١) « قابون موضع بينهُ وبين دمشق ميل واحد في طريق القاصد الى العراق في وسط البساتين » (ياقوت)

الثاني عشر من شهر هدار (١٠ تشرين الثاني) ويذكر السنكسار الحبشي خبرًا تاريخيًا جرى في عهد بطريركيته وهو ان الحبشة كانوا من امد بعيد محرومين من وجود اسقف عندهم فكتب ملكهم الى جرجس ملك النوبة يسألهُ ان يتوسط لهُ عند البطريرك فيلوثاوس بارسال اسقف الى الحبشة كالعادة القديمة. وقد ذكر السنكسار صورة الكتاب المذكور وفي آخرهِ خمسة ابيات شعر في مديح البطريرك المتوفى

واذا قابلنا هذا الحادث المدوَّن في السنكسار والموجود منهُ نسخة خطية في المكتبة العموميَّة في باريس مع سياق الحوادث في كتاب يدعونهُ « كبرانگست » اي عظمة الملوك طُبع مؤخرًا في رومة على نفقة بعض المستشرقين رأيناه مطابقاً لما دُوّن في هذا الاخير . ومما ورد فيهِ ايضاً ان ملكة يهوديَّة ضربت في ذلك العهد الحبشة وحرقت مدنها والجأت الملك الى الهرب وهم يدعونها يهوديت او ترداني گيز (ዘገዘ ፡ ትርጓሜ) ويقولون ان اتباعها سبط يقال لهم بني العموطة. واليك صورة الصفحة من السنكسار مع ترجمتها الى العربيَّة حرفيًا :

صورة الاصل الحبشي وترجمتهُ

وفي هذا اليوم (١٢ هدار) توفي ايضاً الاب القديس فيلوثاوس رئيس اساقفة الاسكندريَّة وهو البطريرك الثالث والستون على دبقيخا رؤساء الاساقفة . ففي عهدهِ ارسل ملك الحبشة كتاباً الى جرجس ملك النوبة يقول لهُ فيه « ان الله غضب علينا بسبب ما صنع الملوك الذين سلفونا فانهم قد تعدَّوا ناموس الرب في قضية ابينا بطرس الاسقف الذي طردوهُ من وظيفتهِ واقاموا مكانهُ المنافق الذي يُدعى

ወበዛቲ ፡ ዕለት ፡ ካዕበ ፡ አዕረፈ ፡ አብ ፡ ቅዱስ ፡ ፊላታዎስ ፡ ሊቀ ፡ ጳጳሳት ፡ ዘሀገረ ፡ እስክንድርያ ። ወውእቱ ፡ እምኍልቆሙ ፡ ለአበው ፡ ሊቃነ ፡ ጳጳሳት ፡ ፷ወ፫ ። በመዋዕለ ፡ ሢመቱ ፡ ፈነወ ፡ መልእክተ ፡ ንጉሥ ፡ ኢትዮጵያ ፡ ኀበ ፡ ጊዮርጊስ ፡ ንጉሥ ፡ ኖባ ፡ ወይቤሎ ፡ እስመ ፡ እግዚአብሔር ፡ ተምዕዓ ፡ ላዕሌነ ፡ በእንተ ፡ ዘገብሩ ፡ ነገሥት ፡ እለ ፡ እምቅድሜነ ፡ ሶበ ፡ ተዓደዉ ፡ ትእዛዘ ፡ እግዚአብሔር ፡ በእንተ ፡ አባ ፡ ጴጥሮስ ፡ ጳጳስ ፡ ሶበ ፡ ሰደድዎ ፡ እምሢመቱ ፡ ወሤሙ ፡ ህየንቴሁ ፡ ዘስሙ ፡ ሚናስ ፡ ሐሳዊ ፡ በመዋዕሊሁ ፡ ለአባ ፡ ቆዝሞስ ፡ ሊቀ ፡ ጳጳሳት ፡ ወናሁ ፡

፯ ሊቃን ፡ ጳጳሳት ፡ ኢሤሙ ፡ ለነ ፡ ጳጳስ ። ወበእንተዝ ፡ ጠፍአ ፡ ብሔርነ ፡ ወኃልቁ ፡ ኵሉ ፡ ሰብእ ፡ ወእንስሳ ፡ በረኃብ ፡ ወበብድብድ ። ወተንሥኡ ፡ ለዕሌነ ፡ ጻላእትነ ፡ ወፄወዉሙ ፡ ለብዙኃን ፡ ሰብእ ፡ እምብሔርነ ። ወአመዝበሩ ፡ አህጉሪነ ፡ ወተከልአ ፡ ዝናም ፡ ከመ ፡ ኢይረድ ፡ ወምድርኒ ፡ ኢተሀብ ፡ ፍሬሃ ። ወጻላእትነ ፡ አውዐዩ ፡ አህጉሪነ ፡ ወአመዝበሩ ፡ አብያተ ፡ ክርስቲያናቲነ ፡ ወሰደዱነ ፡ እመከን ፡ ውስተ ፡ መከን ፡ ወአስእለከ ፡ ከመ ፡ ትኩን ፡ ሱቱፈ ፡ ምንዳቤየ ፡ ብጻመ ፡ በእንተ ፡ እግዚአብሔር ፡ ወበእንተ ፡ ሃይማኖት ፡ ርትዕት ። ውትጽሐፍ ፡ መልእክተ ፡ እንተ ፡ እምኃቤከ ፡ ኀበ ፡ አቡከ ፡ ሊቃነ ፡ ጳጳሳት ፡ አባ ፡ ፊላታዎስ ፡ ወተስእሎ ፡ በእንተ ፡ እግዚአብሔር ፡ ከመ ፡ ይፍትሐነ ፡ ወይፍታሕ ፡ ሀገሪነ ፡ ወይጸልይ ፡ በእንቲአነ ፡ ከመ ፡ ያእትት ፡ እምኔነ ፡ እግዚአብሔር ፡ ወእምላዕለ ፡ ሀገርነ ፡ ዘንተ ፡ ምንዳቤ ፡ ወመከራ ፡ ዘበጽሐነ ፡ ወይሣሀለነ ፡ ወይሢም ፡ ለነ ፡ ጳጳስ ። ወይፈንዎ ፡ ኀቤነ ፡ በከመ ፡ ልማዱ ፡ ወልማደ ፡ አበዊነ ፡ ወይጸሊ ፡ በእንቲአነ ፡ ከመ ፡ ያእትት ፡ እግዚአብሔር ፡ መዓቶ ፡ እምላዕሌነ ፡ ወአንሰ ፡ ዘአበሰከ ፡ እኁየ ፡ ንጉሥ ፡ እስመ ፡ እነ ፡ ፈራህኩ ፡ ከመ ፡ ኢይብጥል ፡ ሃይማኖተ ፡ ክርስቶስ ፡ እስመ ፡ ናሁ ፡ እምአመ ፡ ኮነ ፡ ዝንቱ ፡ እስከ ፡ ይእዜ ፡ ተሠይሙ ፡ ፯ ሊ

مينا وذلك في أيام الاب قزما رئيس الاساقفة (بطريرك الاسكندرية) وقد تولى البطريركية سبعة رؤساء اساقفة ولم يسيموا لنا اسقفاً فلذلك خربت بلادنا وهلك الناس والبهائم بالجوع والطاعون ونهض علينا اعداؤنا وسبوا عدداً كثيراً من رجال بلادنا ودمروا مدننا وانقطعت الامطار ولم تعد ارضنا تعطي ثمرها . اعداؤنا احرقوا مدائننا وخربوا كنائسنا وطردونا فتهنا من مكان الى مكان . فاسألك ان ترثي لبؤسي . استحلفك بالله وبحق الايمان المستقيم واطلب اليك ان تبعث انت كتاباً الى ابيك رئيس الاساقفة الاب فيلوثاوس وتسأله من اجل الله ان يصفح عنا وعن بلادنا ويضرع من اجلنا حتى يرفع الله عنا الشر والمحن التي بُلينا بها وان يرثي لنا ويسيم لنا اسقفاً ويرسلهُ الينا كما كانت عادتهُ وعادة آبائنا وان يصلّي من اجلنا حتى يُقصي الله غضبهُ عنا . واعلم يا اخي الملك اني اذا كنت أكتب لك ذلك فلخوفي على الايمان بالمسيح ان يزول في هذه الاقطار لانهُ منذ ان ذهب منا هذا الاسقف الى اليوم قام سبعة بطاركة

ولم يرسلوا لنا اسقفاً ولم يذكروا قطرنا فاصبحنا كقطيع غنم لا راعي له. مات اساقفتنا وكهنتنا وملوكنا وخربت كنائسنا واننا نعلم ان هذه الشرور التي حلّت بنا انما جاءتنا بسبب ما صنعناه باسقفنا الاب بطرس *

فلما بلغ كتاب ملك الحبشة هذا الى ملك النوبة جرجس وقرأه له كاتب رسائله (اي كاتم اسراره) حزن بسبب وقوع هذه المصائب التي حلّت بمملكة الحبش. حينئذٍ بعث الملك جرجس ملك النوبة بكتاب من قبلهِ الى رئيس الاساقفة الاب فيلوثاوس يشرح له به الشرور والمحن التي حلت ببلاد الحبشة وتوسّل اليهِ ان يتحنّن على الشعب الحبشي وان يسيم لهم اسقفاً. فلمّا سمع رئيس الاساقفة بذلك ارسل للحال رسولهُ الى برّية الاسقيط الى راهب صدّيق هناك يدعى الاب دانيال فقام هذا من دير القديس مكاريوس وجاء الى البطريرك فسامهُ هذا اسقفاً على الحبشة وارسلهُ اليهم. ولمّا بلغ ديارهم استقبلوهُ بفرح عظيم فصرف الله عنهم غضبهُ ونصرهم على اعدائهم الذين قاموا عليهم من ذي

ቃነ ፡ ጳጳሳት ፡ ወኢሜሙ ፡ ለነ ፡ ጳጳስ ፡ ወኢተዘከሩ ፡ ብሔረነ ። ወኮነ ፡ ከመ ፡ አባግዕ ፡ ግዱፋን ፡ ዘአልቦ ፡ ኖላዊ ፡ ወሞቱ ፡ ኤጲስ ፡ ቆጶሳቲነ ፡ ወካህናቲነ ፡ ወነገሥቲነ ፡ ወተሠንተ ፡ አብያተ ፡ ክርስቲያናቲነ ፡ ወአእመርነ ፡ ከመ ፡ ወረደ ፡ ላዕሌነ ፡ ዝንቱ ፡ ምንዳቤ ፡ ህየንተ ፡ ዘገበርነ ፡ ላዕለ ፡ ጳጳስነ ፡ አባ ፡ ጴጥሮስ ።

ወሶበ ፡ በጽሐት ፡ መልእክተ ፡ ንጉሠ ፡ ኢትዮጵያ ፡ ኀበ ፡ ንጉሥ ፡ ጊዮርጊስ ፡ ዘኖባ ፡ ወአንበባ ፡ ለመጽሐፈ ፡ መልእክት ፡ ወኀዘነ ፡ ፈድፋደ ፡ በእንተ ፡ ዘበጽሖ ፡ ላዕለ ፡ ሀገረ ፡ ኢትዮጵያ ፡ ምንዳቤ ፡ ወመከራ ። ወሶቤሃ ፡ ጸሐፈ ፡ ጊዮርጊስ ፡ ንጉሠ ፡ ኖባ ፡ በመልእክት ፡ እምኀቤሁ ፡ ወፈነወ ፡ ኀበ ፡ ሊቀ ፡ ጳጳሳት ፡ አባ ፡ ፊላታዎስ ፡ ወይቤ ፡ ኵሎ ፡ ዘውስቴታ ፡ ዘኮነ ፡ ላዕለ ፡ ሀገረ ፡ ኢትዮጵያ ፡ ምንዳቤ ፡ ወመከራ ፡ ወስአሎ ፡ ከመ ፡ ይሣሀል ፡ ላዕሌሆሙ ፡ ለሕዝበ ፡ ኢትዮጵያ ፡ ከመ ፡ ይሢሞ ፡ ሎሙ ፡ ጳጳስ ። ወሣሚዖ ፡ ሊቀ ፡ ጳጳሳት ፡ ሶቤሃ ፡ ፈነወ ፡ ኀበ ፡ ገዳመ ፡ አስቄጥስ ፡ ኀበ ፡ ፩መነኮስ ፡ ጻድቅ ፡ ወሶቤሃ ፡ በጽሐ ፡ ኀቤሁ ፡ ውእቱ ፡ መነኮስ ፡ እምደብረ ፡ አባ ፡ መቃርስ ፡ ውእቱ ፡ ዘስሙ ፡ አባ ፡ ዳንኤል ። ወሤሞ ፡ ሎሙ ፡ ኪያሁ ፡ ጳጳስ ፡ ወፈነዎ ፡ ኀቤሆሙ ። ወሶበ ፡ በጽሐ ፡ ኀቤሆሙ ፡ ተወክፍዎ ፡ ወዐቢይ ፡ ፍሥሓ ፡ ወአእተተ ፡ እግዚአብሔር ፡ መዐቶ ፡ እ

قبل وقد حسنت حالهم وسارت امورهم بخير في عهد رئاسة البطريرك الاب فيلوثاوس الذي اجترح آيات وعجائب كثيرة	ምላዕሌሆሙ ፡ ወሞእዎሙ ፡ ለጸላእቶሙ ፡ እለ ፡ ተንሥኡ ፡ ላዕሌሆሙ ፡ ቀዲሙ ፡ ወረትዓ ፡ ኵሉ ፡ ግብሮሙ ፡ በመዋዕሊሁ ፡ ለገዘንቱ ፡ አብ ፡ ሊቀ ፡ ጳጳሳት ፡ አባ ፡ ፊላታዎስ ፡ ወእስተርአየ ፡ እምኔሁ ፡ ተአምራት ፡ ወመንክራት ፡ ብዙኃት ።
— السلام لك يا فيلوثاوس الرسول	ሰላም ፡ ለከ ፡ ፊላታዎስ ፡ ሐዋርያ ።
— رئيس اساقفة الاسكندرية	ሊቀ ፡ ጳጳሳት ፡ ዘእስክንድርያ ።
— في عهدك استراح الشعب الحبشي	በእብሬትከ ፡ አንፈሱ ፡ ሕዝበ ፡ ኢትዮጵያ ።
— بعد ان سامه العدو نكالاً وغزته القبائل المجاورة له	በእንተ ፡ ዘሤሞሙ ፡ በላዕሌሆሙ ፡ ብእሴ ፡ ጕሕልያ ።
— اذ قام عليه اسقف جاحد	እመ ፡ ዕእለተ ፡ ዐር ፡ ነነ ፡ ወለሳር ፡ ሕብልያ ።

ملحق

للاب لويس شيخو اليسوعي

انّ الرسالة السابق ذكرها تستدعي بعض الملومات التي نعرضها هنا على قرّاء الشرق تتمّة للفائدة

(اوّلاً) يلوح منها العادة الجارية في بلاد الحبش انّ رئيس اساقفتها المعروف عندهم باسم « ابونا » لم يتولّ تدبير كنائسها الّا بعد سيامته بيد البطريرك الاسكندري. وهذه العادة تترقّى الى اوّل زمان تنصّر بلاد الحبش بهمّة رسولهم فرومنتيوس الذي بعد تبشيره في بلادهم صار اسقفاً عليها بوضع ايدي القديس اثناسيوس الاسكندري كما رواه كلّ قدماء المؤرخين كروفين (ك ١ ف ٩) وسقراط (ك ١ ف ١٩) وسوزومان (ك ٢ ف ٢٤). وبه يثبت تواصل السلسلة الاسقفيّة بالكراسي الرسوليّة

(ثانياً) ورد في هذه الرسالة ذكر انقطاع السلسلة الاسقفية في الحبشة مدةً لاسباب اشار اليها هناك ولم يَستوفها فدونك تفاصيل الامر. لمّا جلس على كرسي ملك الحبش احد نجاشيهم المسمّى « كدا جان » نحو سنة ٩٢٠ للمسيح ارسل راهباً يُدعى بطرس وطلب من قزما البطريرك الاسكندري القبطي ان يسيمه اسقفاً على الحَبشة فاجاب قزما الى طلبهِ وعاد بطرس الى اكسوم حاضرة الملك. وبعد قليل أُصيب النجاشي « كداجان » بمرض عضال فدعا بطرس وفوّض اليهِ ان يختار واحداً من ولدَيهِ فيمسحهُ ملكاً بعدهُ. فلمّا مات الملك توّج بطرس ملكاً على الحبشة اصغر الاخوين المسمّى « دال ناد » لحسن صفاتهِ. لكنَّ الابن البكر المدعو « انباسا وديم » لم يرضَ بهذا الحكم واجتمع براهبين مصريين مينا ومنصور واتفق معهما على مقاتلة اخيهِ « دال ناد »: وادّعى مينا برسائل زوّرها انَّ البطريرك الاسكندري جعلهُ اسقفاً على الحبشة بعد عزل بطرس. فقام « انباسا وديم » وجنّد الجند واعلن باسقفيّة مينا وعَزل بطرس ثم مسحهُ مينا ملكاً وسار الى محاربة اخيهِ لكنّ « دال ناد » وانصارهُ غلبوهُ وشتّتوا شمل جنودهِ وقبض « دال ناد » على الاسقف الدخيل مينا امّا بطرس فات في تلك الاثناء في النفي. فلما رأى منصور ما حلّ بمينا صاحبهِ نهب الدار الاسقفيّة وهرب الى مصر واخبر قزما البطريرك بما فعل « انباسا وديم » بالاسقف بطرس وتزوير مينا لرسائلهِ. فلمّا تأكّد « دال ناد » نفاق مينا حكم عليهِ بالموت فقُتل. ثم استقدم احد تلامذة « ابوا بطرس » واضطرهُ ان يقوم بوظيفتهِ ولم يسمح لهُ ان يذهب الى مصر ليسيمهُ بطريرك الاسكندريّة فساء ذلك بطاركة الاقباط ولم يعودوا يرسلون اساقفة الى الحبشة حتى عهد فيلوثاوس

وملك دال ناد من السنة ٩٢٥ الى ٩٣٧ الّا انَّ ملكهُ كان غاية في الاضطراب فقامت ملكة يهوديّة تُدعى « يهوديت » او « استير » كانت مالكة على امّة الفلاشا في بلاد مجاورة للحبشة وحاولت فتح بلاد الحبش فسارت بجنودها وقاتلت دال ناد وظفرت بهِ واستولت على مملكتهِ وقتلت كل النسل الملكي و٤٠٠ من امرائهِ وبقيت قابضةً على ازمّة الملك في الحبشة الى سنة ٩٧٧ فبعد وفاتها قام الحبش على الملكة يهوديت الثانية المالكة بعدها وانتصروا عليها واقاموا دولة جديدة وطنيّة ذمرانيّة تدعى « الزاكيّة » باسم زاكي زعيمها الذي دُعي باسم تكلاهيمانوت. فلمّا

استقرّت له الامور ارسل كتاباً الى ملك النوبة (وهي الرسالة التي نشرها الكاثاليير رعد) ليتوسّل الى بطريرك الاسكندريّة فيلوثاوس وينال منهُ تعيين اسقف للحبشة كما كانت العادة جارية قبل خمسين سنة فرضي فيلوثاوس وسام للحبش راهباً يُدعى دانيال استدعاهُ من دير اسقيط. وكانت وفاة تكلا هيانوت سنة ٩٩٢ للمسيح

(ثالثاً) وفي هذه الرسالة ورد اسم بطريركين من الاقباط ينبغي لنا ان نبين شيئاً من احوالها. فالاوّل هو قزما وهو البطريرك الثامن والخمسون وقيل التاسع والخمسون من عهد القديس مرقس والثاني من اسمهِ تولّى تدبير الكرسي الاسكندري ١٢ سنةً من ٩٢٣ الى ٩٣٤ ولم تُفدنا التواريخ شيئاً من اعمالهِ غير ما جرى له مع الحبشة. اما الثاني فهو فيلوثاوس وهو البطريرك الثالث والستون من بطاركة الاسكندريّة الاقباط دبّر كرسي اليعاقبة ٢٤ سنة من ٩٧٥ الى ٩٩٦ على الاصحّ. ومن عجيب الامور انّ الاحباش يكرمون هذا البطريرك كاحد القديسين ونسبوا اليهِ في سنكسارهم الآيات والمعجزات مع انّ الاقباط وهم اعرف بهِ ذكروا له من الاعمال ما يسوّد صحيفتهُ ويقبح سيرتهُ. قال ابن الراهب في تاريخهِ الذي تولينا نشرهُ (ص ١٣٤ – ١٣٥):

« وكان هذا البطريرك (اي فيلوثاوس) محبًّا لجمع المال والاكل والشرب ودخول الحمّام بالتطيّب واخذ الشرطونيّة (يريد السيمونيا) وكان يوماً يقدّس في بيعة ماري مرقس باسكندريّة فابصر يدًا خرجت من الشاق وصلّت على القربان فاتقدم في يدهِ فاضطرب منهُ ولم يزل يرجف الى ان مات في ثالث هتور يوم السبت »

فما ابعد هذه الصفات عن القداسة. وقد وردمثل ذلك عن فيلوثاوس في التاريخ الرسمي لبطاركة الاسكندريّة لساويروس بن المقفع اسقف الاشمونين معاصرهِ وهناك ترجمة حياة فيلوثاوس وسياق اعماله مطوّلة (اطلب نسخة مكتبتنا الشرقيّة ص ٥٨٨ – ٦١٢) فذكر المؤرخ من سوء مآثرهِ اكثر مما رواه ابن الراهب. ويؤيّد الروايتين المؤرخ الشهير جرجس بن العميد المعروف بابن المكين (ed. Erpenius, - p. 249) الّا انهُ دُعي هناك فيلاباتوس فظنّ البعض انهُ وجد بطريركان الواحد صالح مكرّم عند الحبشة وهو فيلوثاوس والآخر طالح سيّء الاعمال وهو فيلاباتوس

لكنَّ هذا التمييز لا سند له واسم فيلاباتوس تصحيف ظاهر لاسم فيلاثاوس. والظاهر ان الحبشة اكرموا فيلوثاوس كاتديس شكرًا لتعيينه لهم اسقفاً بعد انقطاع سلسلة احبارهم وهم لم يعرفوهُ لبعدهِ عنهم

(رابعاً) وهذه الرسالة الحبشيَّة التي رواها جناب عبدالله افندي رعد قد ذكرها ساويروس بن المقفع معرَّبة في تاريخه (ص ٦٠٩ و ٦١٠) مع خلاصة خبر ملك النوبة كما ورد في السنكسار الحبشي

(خامساً) ولا بدَّ هنا من ذكر النوبة وملكها جرجس الذي كتب اليه تكلا هيانوت فنقول انَّ النوبة في القرن العاشر للمسيح كانت دولة مستقلة تمتدُّ في جنوبي مصر من اسوان الى ما فوقها شمالاً على مسير ثمانين يوماً مع النيل وكانت حاضرتها دُمقلة او دُنقلة وفيها كرسي الملك. امَّا اهل النوبة فكانوا نصارى يعاقبة كما شهد على ذلك ياقوت الحموي في معجم البلدان (٥ : ٨٢٠) وكانت النصرانيَّة دخلت بينهم منذ عهد قسطنطين الكبير. وقد شهد قوما الرحَّالة الهندي في القرن الخامس على انتشار الدين المسيحي بين اهل النوبة. وعلى قول ابي الصلح الارمني انَّ اوَّل ملك منهم تنصر كان يُدعى « بجريا ». وكان ملوك النوبة محالفين لملوك الحبش وربما ملك على الدولتين ملك واحد. اما جرجس الذي وجَّه اليه تكلا هيانوت رسالته فهو جرجس بن زكريا ويدعونهُ ايضا جرجا وجرجه وقرقي بن زكريا ويطرئون بأسهُ وحسن سياستهِ وكان جلوسهُ على كرسي الملك نحو سنة ٩٨٠ للميلاد ولا نعلم سنة وفاته. وقد جاء في تاريخ الشيخ ابي صلح الارمني (ص ١٢١ éd. Evetts) ان ملك النوبة في سنة ٣٩٢ للعرب اي ١٠٠٢ للمسيح كان يُدعى رفائيل والظاهر انهُ خلف جرجس بن زكريا

هذا ما عنَّ لنا ان نوردهُ تعليقاً على هذه الرسالة التي هي كما ترى صحيفة خطيرة من تاريخ الحبش وتكشف عدَّة اسرار عن احوال نصارى القرن العاشر

الأنفيلكسيا او عكس المناعة

برهان حيٌّ على بطلان مذهب التحويل الدرويني

بقلم الدكتور حبيب افندي الدرعوني

الأنفيلكسيا كلمةٌ جديدة تدور اليوم على ألسنة الكتّاب من علماء الغرب فرأيت ان أعالج موضوعها كي لا يفوت قرّاء المشرق الاطلاع على هذا الاكتشاف الخطير وفيهِ من الغرابة ما يحيّر العقول وتُدهَش منهُ نفوس الأذكياء. بل رأيت ضروريًا الاسهاب في هذا الحادث لارتباطهِ بما كتبتُ في هذه المجلة منذ عدة سنين (المشرق ٣: ٦٤٧ و٧: ٥٢٣) في المناعة ونظر العلّامة اهرليخ في امر تعليلها

كلٌّ من لهُ قليل المام في علم الحياة يعلم انهُ اذا لُقّح حيوانٌ بمقادير مخفّفة من بعض السموم ثم زيدت شيئًا فشيئًا بالتدريج قد يأتي زمانٌ يصبح فيهِ ذلك الحيوان غير متأثر بكميات اشدّ منها وذلك ما سمّوه المناعة

غير انهُ قد اكتشف بعض العلماء حادثًا حيويًا يعارض عمل المناعة ويعاكس فعلها تامًا. مثالهُ ان تعمدَ الى أرنبٍ وتحقنهُ تحت جلدهِ بعشر غرامات من مصل دمِ فرسٍ سليمٍ مُعافى فلا يحصل لهُ أذًى وتدوم فراهته ونشاطهُ ثم تأخذهُ بعد مضيّ شهرٍ فتحقنهُ ثانيةً بعُشر الكمّية الاولى فتراهُ قد مات في الحال. ويزيدُ الامرُ وضوحًا ان تأخذَ خنزيرًا هنديًا لان هذا الحيوان نهايةٌ في الانفعال فتحقنهُ بالمصل مرّةً أولى ثم بعد مرور مدّةٍ من الزمان تحقنهُ مرةً ثانيةً بجزءٍ من الف جزءٍ من الاولى فيخرّ ميتًا باقلّ من لمح البصر

وقد لحظ كثيرٌ من العلماء الحيويّين هذا الحادث العجيب فأعادوا التجارب فيهِ على طرائق شتّى فكانت النتيجة واحدة: اي ان الحيوان الملقّح بمصل دم حيوان آخر لا يتأثر منهُ اولًا اما اذا كُرّر تلقيحهُ ثانيةً بالمصل عينهِ بعد مرور شهر ولو بعُشر عُشر الجرعة الاولى فيموت موتًا سريعًا. فاطلقوا على هذا الحادث اسم الأنفيلكسيا اشتقاقًا من كلمتين يونانيّتين ترجمتها « عكس المناعة »

ان مثل هذا الحادث الذي يتمّ في الحيوان قد يتمّ طبعاً في الانسان على وجه التشابه . ولكن اذ لا يجوز اجراء التجارب في الانسان الحيّ كما في الحيوان الاعجم لم يتحقّق العلماء الامر بالاختبار وانّما جاءت صُدَف الطواوى تصدقنا الخبر . منها ان طبيباً في البرازيل تلقّح بالمصل المضاد للطاعون وقايةً لنفسه من وباء المطعونين لمخالطته لهم فنال منهُ غايتهُ ثم انهُ في السنة التالية تكرّرت عدوى الطاعون فعاد الطبيب وتلقّح بالمصل السابق كما فعل قبلاً فلم تمضِ عليهِ بضع ساعات الّا وقد سقط ميتاً . وعلى اثر هذه الضحية تنبهت الخواطر لاعتبار غيرها فشوهدت حوادث عدة تؤيد وقوع الانفيلكسيا في الانسان . وعندنا ان اعراض التسمم التي تعرض للاطفال المصابين بالدفتيريا على اثر حقنهم بالمصل ثانيةً بعد مرور مدة على الحقنة الاولى ليست الّا من هذا القبيل

امّا الشروط المقتضاة لاحداث الانفيلكسيا فاثنان : الاول ان يمرّ بين التلقيح الاول والثاني مدة لا تقلّ عن الخمسة عشر يوماً . والثاني ان تكون مادّة التلقيح المستعملة اولًا وثانيا من نوع واحد والّا بطلت الانفيلكسيا . مثلًا اذا اخذت مصل دم ارنب برّي ولقحت بهِ حيواناً ثم اخذت بعد حين دم ارنب داجن ولقحت بهِ ذلك الحيوان مرةً ثانية فلا ينالهُ اذى ولا ضرر لانهُ حصل تغيّر في مصدر المصل وذلك بالرغم عمّا بين الحيوانين من التقارب

ومن عجيب امر الانفيلكسيا انّها تحصل ليس فقط بمصل الدم بل بجميع المواد الغروية الغير القابلة التبلور كالزلال وخلاصات بعض البقول كالحمص والفول وخلاصات اللحم الاحمر والنخاع والكلى والحليب والبول والبيض على انواعهِ ولكن بشرط المحافظة على القاعدة المتقدم ذكرها اي ان تكون مادّة التلقيح مأخوذة من نوع واحد . فبناء على ذلك اذا اعتبرنا شخصاً لُقّح اولًا بمادة بيض الحمام ثم لقح ثانيةً بمادة بيض الدجاج او البط فلا خوف عليهِ من ضرر ولا ينالهُ اذى . الّا انّ كثيراً من المواد المعدنيّة والنباتيّة كالمورفين والكحول والاستركنين لا تحدث الانفيلكسيا

امّا تعليل هذا الحادث نظرياً فهو ان المواد الشبيهة بالغروية (غير القابلة التبلور) اذا دخلت في دورة الدم كوّنت فيهِ مادّةً جديدةً اسمها التوكسيجنين (اي مولّدة

السم) من شأنها ان تكمن في الدم ولا تؤذي الّا اذا أُدخلت عليها ثانية نفس المادة التي كانت سبب توليدها في الاول فتأتلف بها وتكوّنان بائتلافهما سماً تاماً ذلك اشبه بما جاء في اختبارات كلود برنار (Claude-Bernard) على خميرتي اللوز المرّ « الأميكدالين والإمولسين » . فانهما اذا أُدخلا في الدم منفصلين لا يؤذيان واذا أُدخلا سويةً اصبحا سماً قاتلاً . ومن خواص التركيبتين استمرار فعلها على الدوام فهي تلازم صاحبها دائماً . وكم كشف الاختبار عن حوادث انفيلكسيا دامت عدة سنين

تحدث الانفيلكسيا على الغالب بطريقة الحقن تحت الجلد وقلّما تحدث في المسالك الهضمية ولعلّ المانع ما يطرأ من التيار بواسطة عصارات المعدة على الاطعمة او المواد التي تمرّ فيها فلا تلج الدم الّا متحللة . ومع ذلك فان كثيراً من الناس يصيبهم شيء من التسمم على اثر تناولهم البيض او الحليب او غيره ممّا كان يشكل فهمه قبل معرفة الانفيلكسيا التي تدلّ لنا اليوم عن طبيعة تلك الاعراض

واهم ما في هذه الاكتشافات العلمية انها أتتنا ببرهان محسوس يبطل مذهب دروين المعروف بالتحوّل النوعي فضلاً عن الادلة الاخرى التي كادت تقوّض اركانهُ

من المعلوم ان المذهب الدرويني ينكر وجود انواع الحيوان كل واحد مستقلّ عن سواه من يوم فطرته ويعتقد انها فروع متعددة ترجع الى اصل واحد هي حويصلة حيّة اخذت تنمو وتتشعّب وتتفرع وتتحوّل وتتكيّف دون ان يكون في ذلك الاصل ذاتيّات لكل نوع من الانواع كان جاز للانسان ان يكون تسلسل من القرد والقرد من الحلزون وهذا من السمكة وهلمّ جرّاً . على ان ما مرّ بك من شأن الانفيلكسيا وشروط إحداثها يعزّز استقلال النوع وانفراده بطبعه وخواصه ويدلّ على قيام الفواصل بين نوع ونوع . وكل فرد من نوعه خلق مطبوع قائم بذاته لا نتيجة التفرّع او التحوّل من اصل واحد . وليس القول بالانواع من مخترعات التعليم يُقصد بها تقسيم الاحياء وتبويبها لمساعدة الذهن على درسها وحفظها . واكبر برهان لدينا اليوم هو وجود التركيبتين النوعية حسبما كشفتها لنا الانفيلكسيا التي نحن في صددها صابرة على مرور الاجيال لا يعتريها تغيّر ولا زوال بل تظلّ على قدم الاستعداد لتُظهر بمفاعيلها ان لا تغيّر في النوع ولا تحويل

واليك اختبارًا فريدًا في بابهِ يؤيد هذه الحقيقة: جاءوا بموميا (جثة محنَّطة) قديمة العهد تعاصر ابراهيم الخليل عليهِ السلام فاستخلصوا شيئاً من نخاعها الشوكي ولقحوا بهِ خنزيرًا هندياً فلم يحصل لهُ ضرر ولا نقص انتعاشه ثم بعد مرور المدة القانونيَّة قُبض عليهِ ولُقح بمصل دم بشري جديد سليم فاذا بهِ مات في الحال. أوَ ليس هذا برهاناً على ان تلك الموميا العريقة بالقدم التي مضى عليها اكثر من اربعين جيلًا هي من النوع الانساني وانها لم تتغيَّر في نوعها مع ان الانسان الذي استُعمل مصله للتلقيح هو من الجيل العشرين ابيض البشرة آري الاصل بينا الموميا من بني حام وتنتمي حسب التوراة الى مسرائيم؟ ألا ان النوع لم يزل واحدًا في كليهما فتأمل!

حوادث مدهشة في الحقيقة ودلائل واضحة تقطع بدوام الانواع والرواميز على حالٍ لا تتغيَّر وبالتالي فهي حجةٌ دامغة لتفنيد مذهب التحوُّل الدرويني. فسبحان الله كم لهُ في خلقهِ من آيات وكم نرى في اسرار هذا الخلق من معجزات

حوادث العام المدبر

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٣: احوال اوربا في العام المنصرم

﴿ رومية ﴾ يحسن بنا ان نبتدئ بعاصمة الكثلكة وحبرها الجليل نعم ان رومية ليست دولةً ذات املاك وقوة مادية ألا انها ذات سلطة ادبيَّة تفوق على كلّ سلطة ادبيَّة وتعلو فوق كل الدول. لعمري انهُ لمشهد يسحر الالباب نظر ذلك الشيخ السجين في قصر الفاتيكان الذي ترنو اليه ابصار العالم كله وتحييهِ الملوك كما يُحيا ممثل السلطة العلويَّة ويُزار في سجنهِ كما تُزار المقامات المقدَّسة ويقول بقولهِ ثلثمائة مليون من البشر اذا شهد انهُ ينطق باسم الهِ المسيح ولهُ الرئاسة التامَّة على الكنيسة فتجعلهُ اعظم شخصٍ ادبيّ في الكون وان سلبتهُ ايطالية املاكهُ فهو لا يزال ملكاً شرعياً تقرُّ بملكه الدول وترسل اليهِ سفراءها كما تفعل مع بقيَّة الملوك ويرسل هو اليها سفراءهُ ولهُ رايتهُ الخاصة تُنشر كرايات الدول وتُكرم كراية ملك. وقد اثبت

كل ذلك احد كبار الكتبة الفرنسويين المسيو دازون في مجلة العالمين واتى بشهادة احد كبار السياسيين الايطاليين تاييدًا لقوله

وقد ظهر نفوذ الكرسي الرسولي في العام الماضي في عدة مواقع ففي الشهر الاوَّل من كانون الثاني وجه الحبر الاعظم الى رؤساء الاساقفة القصاد الرسوليين في كلّ انحاء الشرق تلك الرسالة الجليلة التي فند فيها الاضاليل التاريخيَّة واللاهوتيَّة التي كان ضمنها الكاهن الامير مكسمليان اخو ملك ساكس في مقالة عنوانها « خواطر في مسألة اتحاد الكنائس » ونشرها في مجلة حديثة اسمها « رومية والشرق » فبين قداسته انَّ صاحبها مع سلامة نيته وصفاء سريرته قد شحنها بالاقوال الباطلة المنافية للحقائق التاريخيَّة والدينيَّة معاً وقد اقرَّ صاحبها بغلطه وقدَّم مسرعاً للحبر الاعظم خضوعهُ التامَّ . فجاء هذا الحادث برهاناً جديداً على صحة المثل القائل بان الانسان قابل للضلال فان اعترف بذنبه اصبح ملاكاً وانْ اصرَّ على عصيانه صار شيطاناً ماردًا . واثبت ايضاً ذلك الامر انَّ الكنيسة في حاجة الى رأس يقودها ويرشدها وينقذها من كلّ ضلال

والحقّ يقال انَّ قداسة امام الاحبار بيوس العاشر يرعى الكنيسة بعين ساهرة وكل همّهِ ان يحقق الشعار الذي وضعهُ بازاء عينه يوم جلوسه على السدَّة البطرسيَّة اي تجديد كل شيء في المسيح والتصدي لكل من يعارضهُ في سبيل غايته الجليلة . وهذا ما حملهُ في هذا العام على توجيه الملامة الى الحكومة البرتغاليَّة الجديدة التي داست تحت الارجل كلّ مبادئ الدين ونسيت ماضيها الشريف تنشر راية الكفر في بلادها وتناصب رؤساء الكهنوت وتطرد الرهبان وتفصل الكنيسة في الحكومة وتنقاد الى تعاليم الماسونيَّة الوخيمة . فكان لبراءة الحبر الاعظم احسن وقع في قلوب الكاثوليك وشكرهُ عليها بطريرك ليسبونة مع لفيف اساقفة البرتغال

ومن آثار عنايته ايضاً ضربهُ بالحرم لعدَّة تآليف ومنشورات منها صريحة الكفر والفساد ومنها ألفها بعض الكاثوليك فحادوا فيها عن جادَّة الحقّ شاءوا ام ابوا كان من جملتهم السيد دوشان (M^gr Duchesne) الذي مع سموّ فضله وكثرة معارفهِ غلط في رواية بعض الاخبار التاريخيَّة الدينيَّة فصار كتابهُ في اصول الكنيسة عثرةً لكثيرين واضطرَّ المجمع المقدس الى تحريمهِ

وقد رأينا سابقاً ما ابرزهُ البابا من الهمة في امر الارمن الكاثوليك بعضد غبطة بطريركهم المفضال وتعيين اساقفة للكنائس المترملة واقامة مجمع مليّ لاصلاح شؤون الطائفة ووضع حدود لتطرُّف بعض الطماعين

وتصدَّى لمكايد الماسونيَّة الايطاليَّة وقبح اعمال زعيمها في رومية اليهودي ناثان رئيس البلدية الذي لم تخطئهُ السابقة في شتم شيخ الفاتيكان الجليل. وكذلك احتج على منشورات بعض الصحف البذيَّة التي تنفث سمَّها كل صباح في نفوس قرّائها فتحملهم على بغض الدين وارباية حتى انَّ بعض هؤلاء الجهال دخل كنيسة مار بطرس ليقتل الحبر الاعظم او اوَّل كاهن يلتقي بهِ فكاد يذهب ضحيَّة جنونهِ المنسيور اورزتشي (M^gr Orzucci) وكذلك احتجَّ قداستهُ على مظاهرات الفوضويين المدانيَّة عند باب بيَّا في شهر ايلول تذكاراً لدخول الجنود الايطاليَّة الى رومية وكان البروتستانت الاميركيون قد انضموا الى تلك الغوغاء. فظهر لكلّ ذي بصر انَّ البروتستانية مصادقة للفوضى في معاداتها للكنيسة

وممَّا شكرهُ العالم الكاثوليكي لقداسة الحبر الاعظم ترقيتهُ في ٢٦ تشرين الاول لسبعة عشر كردينالاً من بلاد مختلفة اشهرهم السيد اميت (L. A. Amette) رئيس اساقفة باريس والسيد بورن (F. Bourne) رئيس اساقفة وستمنستر والسيد جون فارلي (G. Farley) رئيس اساقفة نيويرك والسيد كوس ماتشيو (Cos y Machio) رئيس اساقفة فلادوليد والسيد ناكل (F. Nagl) رئيس اساقفة فينا والاب لويس بيليو (L. Billot) اليسوعي وكلهم من رجال الفضل والعلم المشار بالبنان

ومن آيات عناية ابي المؤمنين رسالة جميلة كتبها في ١١ حزيران ينشط فيها الجمعيَّات الساعية في توطيد السلام بين الممالك. وبها اثبت قداسته انهُ رسول ربّ السلام غاية مرغوبهِ ان تعيش الدول في الوداد والائتلاف وتعدل عن اسباب النزاع والخصام. ولمَّا استعرت نيران الحرب بين دولتنا العليَّة وايطالية واتّهم بعض اصحاب الفتن الحبر الروماني بايقاد سعيرها كذَّب بيوس العاشر هذا الخبر رسمياً واكَّد علانيةً انهُ يشنأ الحروب ولا يتمنى للدول غير السلام والوفاق

ورأى الاب الاقدس انَّ حركة التجارة ولوازم المعاش وتزاحم الاشغال لم تعد

تسمح للكاثوليك في بلاد كثيرة الانقطاع عن الشغل في بعض الاعياد فاحب التساهل في ذلك وحصر في الكنيسة اللاتينية اعياد البطالة السنوية في ثمانية أيام فقط اعني ميلاد الرب وختانته والغطاس والصعود ثمَّ الحبل الطاهر بالعذراء مريم وانتقالها الى السماء وعيد القديسين الرسولين بطرس وبولس وجميع القديسين ورخّص اكل البياض واللحم يوم الجمعة ان وقع فيها احد هذه الاعياد

فتلك بعض الأدلة عن سمو نظر قداسة الحبر الاعظم وتنبُّه كلّها بعناية الابويَّة بالخطيرة التي وُكلت الى حراستها . وقد عرفت له خوافه حسن رعايته وهي تسعد باستماع صوته وتبذل النفس والنفيس فداء عنهُ . ولمَّا أُصيب راعي الرعاة بنزلة صدريّة في شهر آب ارتفعت أكفُّ الدعاء من كل انحاء المعمور ليصون الله حياته الثمينة من كل الآفات فما عتم ان نال الشفاء التام

❀ انكلترة ❀ وُجدت بريطانية العظمى في السنة المتصرمة في حال حرجة بما وقع من الانقسام بين مجلسي الدولة اذ وجد مجلس العموم في الاعيان مقاومة تحول دون رغائبه في بعض الاصلاحات التي اراد تنفيذها فاتخذ زعماء مجلس الندوة الوسائل الفعّالة لصادق الاعيان على السنن التي استنُّوها وذلك بانهم تهددوهم ان يقلبوا ذلك المجلس الاعلى ويختاروا برضى الملك غيرهم ممَّن يوافقونهم على مقترحاتهم فتخوّف الاعيان من ثورة تجري في الأمة وتنازلوا عن شيء من حقوقهم باغراء السترلفور . وفاز الاحرار بمرغوبهم تحت قيادة المستر اسكويث اذ صادق المجلس الاعلى على القانون المعروف بقانون المنع (Veto - Bill)

ولا ينكر ان الاشتراكيين في هذه السنين الاخيرة ازدادوا قوَّة ونفوذاً وما اكبر دليل على ذلك في الاعتصابات المتوالية التي جرت في العام المتصرم وعرَّضت البلاد لاعظم المخاطر فاعتصب عمَّال السفن البحريَّة واعتصب عملة السكك الحديدية واعتصب المعدّنون للفحم وعمّال القطن والصنائع فتمزقت الامور وسكنت حركة التجارة ووقف دولاب الاعمال حتى خيف نقص ضروريَّات المعاش في لندن وليفربول ومدن اخرى . وجرت بين المعتصبين وشرط الحكومة مناوشات عديدة في الشوارع اودت بحياة رجال من الفريقين ولم ترجع الامور الى مجراها الَّا بعد المفاوضات الطويلة ومنح العمّال شيئاً من مطاليبهم . وهم قاصدون ان يوالوا قريباً اعتصاباً عامّاً

ومن غريب الامور انَّ النساء في انكلترة اخذن ايضاً يطالبن الحكومة بحقّ التصويت في الانتخابات. ولمَّا رأين انَّ ارباب الحكم يُصمُّون السمع عن احتجاجهنَّ سرن الى مجلس الأمَّة معتصبات ليهجمنَ عليهِ وكنَّ في طريقهنَّ يكسّرنَ نوافذ المخازن حتى اوقف الشرط منهنَّ أكثر من مائتي امرأة بينهنَّ بعض نساء الاشراف

وقد عاين الانكليز في هذه السنة الاعياد الجليلة التي اقيمت في عاصمتهم بنسبة تتويج جلالة الملك جورج الخامس فكان اليوم الثاني والعشرون من حزيران يوماً مشهوداً ظهرت فيهِ السلالة المالكة في كل رونقها وجلالها وتلا الملك لاوَّل مرَّة ذلك القسم المنقح الذي أُلغي منهُ ما يمسّ كرامة الكنيسة الكاثوليك وذلك بحضور سفراء كل الدول في مقدَّمتهم ممثل الكرسي الرسولي الذي لقي مع وفد الفاتيكان لدى جلالة الملك والملكة وارباب الدولة كل رعاية واكرام. وكذلك نال السيد بورن رئيس اساقفة وستمنستر التفاتاً خاصاً ودُعي الى احدى المآدب الرسميَّة التي لم يحضرها قبلًا اسقف كاثوليكي. وتوالت هذه الافراح عدَّة ايام ونسي اصحاب الاحزاب انقسامهم لرفع شؤون الوطن. وفي هذه الغضون استعرض الملك جورج كل اساطيل الدولة فكان استعراضها مشهداً فريداً قلما ذُكر مثلهُ في تاريخ بريطانية العظمى

والحقُّ يقال انَّ الملك جورج يستحقُّ هذا الاكرام العظيم بما يزين شخصهُ من الصفات الكريمة والسجايا الطيبة مع معرفتهِ بسياسة بلادهِ ورغبتهِ التامَّة في خدمة صوالحها ومراعاة احزابها وترقية مستعمراتها التي ساح الى جهاتها ودرس احتياجاتها. وتجاريه الملكة ماري قرينتهُ بلطف طباعها ومحبة رعاياها. وهي تحب السذاجة وتنفر عن التأنق في اللباس وتتبُّع الازياء الجديدة وتريد ان تحذو حذوها كل نساء حاشيتها. وكلٌّ يشهد بان الملك والملكة قدوة الجميع في العفاف والفضائل البيتيَّة

وقد استأنف اهل الهند هذه المواسم في اوائل كانون الاوَّل فكان الدربار في دلهي من افخم وابهى ما وقعت عليهِ العين هناك قيل انَّ الموكب الذى كان يتقدَّم الملك والملكة يوم تتويجهما كان طولهُ ثلاثة اميال وكانا راكبين مركبة ملكيَّة تحفُّ بهما اعيان الهند وكبراؤها الذين قُدّر عددهم بمئة الف فتصاعدت اصوات الهاتفين واناشيد المتحمسين الى عنان السماء وكان عدد الجند من الماشين في هذا

الموكب عشرين الفاً . واغتنم جلالة الملك الجديد هذه الفرصة لنقل مركز حكومة الهند من كلكتا الى دلهي لوقوعها في وسط البلاد ومراعاةً لصوالح الوطنيين

ومما يحسن ذكرهُ لانكلترة في العام الماضي انَّ عقلاءَها من بروتستانت وكاثوليك بازاء الحركات الفوضويَّة في البلاد تحققوا ان للماسونيَّة يداً في تلك الاشغاب وكثيرون منهم كانوا يدَّعون انَّ الشيعة في انكلترة واميركا لا تناهض الدين والسلطة كما في غيرهما من البلاد فثبت لهم انَّ الماسونيَّة الانكليزيَّة لا تشذُّ خطتها في بريطانية العظمى وفي اميركا عن سواهما الَّا انَّها تراعي الاحوال وتلبس لكل بلاد لبوسها وتتلوَّن بالوانها وتدسُّ لها السمَّ في الكاس الموافق لشربها

ومن مساعي كاثوليك الانكليز المشكورة عقدهم لمؤتمرهم الثاني في نيوكيل في ٣ آب حضرهُ جمٌّ غفير منهم تحت رئاسة رئيس اساقفة وستمنستر السيد بورن واثني عشر اسقفاً وكان هناك كثير من اعيان الدولة والنوَّاب في مقدَّمتهم الدوق دي نورفلك ودارت ابحاث المؤتمرين على مسائل خطيرة اخصُّها مسألة سلطة الحبر الاعظم الزمنيَّة والتعليم الثانوي في انكلترة . وقد رحب بالقادمين حاكم المدينة البروتستاني وشكرهم على اختيارهم لمدينة نيوكسل لهذا المؤتمر لعلمه بما ينجم عنهُ من الخير للدين والوطن

وكان الكاثوليك قبل ذلك بايام قليلة فازوا في الانتخابات الجزئيَّة فنال اكثريَّة الاصوات اثنان منهم وهما الماجور موركس والبارون ده فورست المثري الشهير رغماً عن مساعي انصار المترشحين من البروتستانت وغيرهم فبلغ بهما عدد النوَّاب الكاثوليك في مجلس العموم ٨٤ عداً عشرةٌ منهم انكليز والباقون ارلنديُّون

وكأنَّ الحبر الاعظم اراد مجازاة الانكليز على سامي همَّتهم بترقيته الى مقام الكرادلة السيد بورن وزاد على هذه النعمة نعمةً ثانية ان حوَّل ثلاثة كراسي اسقفيَّة في انكلترة الى مطرانيَّات اوَّلها جاثليقيَّة وستمنستر ثم مطرانيَّة ليفربول ومطرانيَّة برمنغام واناط بهذه الكراسي الرئيسيَّة بقيَّة الابرشيَّات البالغ عددها ١٤ كرسيّاً اسقفياً . مع بقاء حقوق الرئاسة العليا لرئيس اساقفة وستمنستر في الاحتفالات والمواقف الرسميَّة ولبس درع الباليوم والجلوس على العرش في كل انحاء انكلترة

﴿ المانية ﴾ احتفلت المانية في ١٨ كانون الثاني بتذكار السنة الاربعين

لامبراطوريتها فكانت الحفلات المقامة لذلك العيد الوطني غاية في الرونق والتحشد وانتقت فيها كل عناصر الدولة فاوثقت هذه المظاهرات عرى الاتحاد بين انحاء البلاد

وفي ١٥ آب استعرض جلالة الامبراطور غليوم الاساطيل الالمانية واشار الى ثقته بالبحرية للدفاع عن الوطن

وكان خطاب الامبراطور المذكور لم يكن غير صدى لزجرة الاسد اذ كانت المانية باشرت بتوسطها في امور مراكش فارسلت بارجتها المدرعة بانثير الى مينا اغدير وادعت لها من الحقوق على تلك البلاد ما لم تعرف له سوابق. فجرت بين معتمدي فرنسة والمانية المسيو جول كمبون وكيدرلن فختر (Kiderlen-Waechter) مفاوضات طويلة صعبة دامت ثلاثة اشهر ابرقت في مدتها المانية وارعدت حتى خيف من انتشاب الحرب لكنّ فرنسة ثبتت في مقام كرامتها فلم ترضَ ان تتنازل عن حقوقها حتى انقشعت اخيراً تلك السحابة بالاتفاق الفرنساوي الالماني الذي تمّ التوقيع عليه في ٤ تشرين الثاني فبموجبه اطلقت المانية اليد لفرنسة في احتلال مراكش عسكرياً وبسط حمايتها عليها. اما فرنسة فانها منحت لالمانية كتعويض عن حيادها قطعةً من بلادها في الكنغو تمكّنها من الوصول الى نهري الكنغو والاوبنغي بحيث يسهل عليها البلوغ الى مستعمرتها في الكامرون وتعديل حدودها

ولعلّ الذي دفع المانية على ان تخفض شيئاً من زهوها سقمُ حالة ماليّتها لانّ الفرنسويين استياء من عملها سحبوا من ماليّتهم في مصارفها الى حدّ ثمانية ملايين ليرة فخافت المانية من الافلاس لولا مساعدة بعض المتموّلين من اليهود الفرنسويين. وكان مع ذلك عجز مالية المانية نحو ١٦ مليون ليرة

اما المانية الكاثوليكية فلا تزال تجاهد الجهاد الحسن في خير الكنيسة والوطن. قيل انّ الاحصاء الرسمي الذي تمّ في العام الماضي افاد بانّ عدد الالمانيين بلغ ٦٤,٥٥١,٠٠٠ نفس والكاثوليك منهم ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ بنيف وهم فضلاً عن عددهم هذا مرتبطون بروابط الوفاق بينهم ومع رؤسائهم الروحيين. ولهم من المشروعات الخيريّة والاجتماعية ما يعزّ وجودهُ عند غيرهم. وكفى دليلاً على نفوذهم مؤتمرهم السنوي الذي يجدّد كل سنة قواهم ويبين لكل مواطنيهم رسوخ

قدمهم في حبّ الدين والوطن. وكان المؤتمر الاخير هو الثامن والخمسون للكاثوليك الالمانيين عقدوهُ في مايَنْسة في ٦ آب وكان احد مقاصدهم التي صمّموا عليها النية مناهضة المدارس اللادينية. ونقلت الجرائد انَّ عدد الذين مشوا في الموكب الجاري في ختام جلساتهم بلغ ٥٣,٠٠٠ كانوا اتوا من كل مقاطعات المانية ليحضروا المؤتمر

هذا وان الخطر العظيم الذي يتهدَّد اليوم المانية عموماً انَّما هو الخطر الاشتراكي الفوضوي فانَّ الانتخابات الاخيرة التي جرت حديثاً ارعبت قلوب المحافظين من بروتستانت وكاثوليك لما نال الاشتراكيون من الفوز في عدَّة امكنة فدخلوا في مجلس العموم وقصدُهم تعزيز مبادئهم الضارَّة. فيا ليت المحافظين ينسون عداوتهم للكثلكة ويمشون يداً في يدٍ معها لردّ هذا الشرّ الذي يتهدَّد الدين والوطن معاً

❦ النمسة ❧ ان موت رئيس الحزب الكاثوليكي لويغر (Lueger) اضعف شيئاً من عزائم اصحابه الذين كانوا في هذه السنين الاخيرة نالوا فوزاً باهراً بمناهضة الاشتراكيين والحزب اليهودي والماسوني. فانتهز كل اهل الفوضى واعداء الدين تلك الفرصة ليحملوا حملة شديدة على الكاثوليك فاصابوا في فينّا نجاحاً وزاد نجاحهم الحكومةَ ضعفاً مع كثرة العناصر في النمسة ووفرة الاحزاب التي تزيد على عشرين حزباً. فقامت قيامة الاشتراكيين وعمدوا الى الشاغبات وفي ١٧ ايلول اجروا الدماء في شوارع العاصمة. وحاول احدهم المسمى نياغوس (Njegus) ان يقتل وزير العدليَّة. فرأت الحكومة انها لا تستطيع كبح جماح آل الثورة الَّا بمعاقبتهم عقاباً شديداً ليكونوا عبرةً لغيرهم. وارتأى رؤساء الوزارة الثلثة الذين تتابعوا اي بينرث (Bienerth) وغوتش (Gautsch) وستورغ (Stürgkh) انَّهُ لا بُدَّ من العمل بالحزم

امَّا الكاثوليك فسعى الاساقفة وزعماء احزابهم ان يضمّوا كلمتهم ويجمعوا شتاتهم وانشأوا « الاتفاق الكاثوليكي النساوي » وجعلوا لهُ فروعاً متعدِّدة في المملكة. فلم تلبث ان ظهرت ثمرة اتّحادهم بمعاكسة الاشتراكيين وصدّهم عن فتح المدارس اللادينيَّة

وقد فقدت فينَّا في ٦ آب رئيس اساقفتها السيد انطون يوسف غروشا (A. J. Gruscha) المولود سنة ١٨٢٠ وكان كردينالًا منذ سنة ١٨٩١ فخلفهُ

السيد ناكل (Nagl) مساعدهُ فُرّقي الى رتبة الكرادلة كما سبق. وكذلك رُزئت بولونية النمساوية في ٩ ايلول برئيس اساقفة كراكوفيا الامير جان پوزينا دي كوزيلسكو (G. Puzyna de Kozielsko) كان مولدهُ سنة ١٨٤٢ وتعيَّن رئيس اساقفة على بولونية سنة ١٨٩٥ ونُظم في سلك الكرادلة سنة ١٩٠٣

﴿ فرنسة ﴾ حدث في وزارتها عدَّة تقلّبات اظهرت ما صارت اليهِ تلك الدولة الشريفة في ايدي الجمهورية اللادينيَّة فاصبحت كريشة تتلاعب فيها الرياح حتى تتقلّص شيءٌ من هيبتها وكرامتها. ففي ١٠ كانون الثاني عاد النواب فانتخبوا لرئاسة المجلس بريسون احد زعماء الماسونيَّة. وفي ٢٨ شباط استعفى رئيس الوزارة بريان لما وجد في المتطرفين من حزبهِ من المقاومة لتساهلهِ على ما زعموا مع الكاثوليك في امر الكتب الكفريَّة والتعليم اللاديني وتغاضيهِ في رجوع بعض الرهبان فحملوا عليهِ الحملات الشديدة حتى اسقطوا وزارتهُ. فتألفت وزارة جديدة برئاسة مونيس للداخليَّة وكروبي للخارجية وبرتو للحربية وستيغ للمعارف. وضاعفت هذه الوزارة ضغطها على الدين واربابهِ فاقفلت عدَّة مدارس كاثوليكية. وكأن الله اراد تنبيهها بالحادث الفجع الذي حدث في ٢١ أيار في حفلة سباق الطيارات من فرنسة الى مدريد فصدمت احدى الطيارات المنصَّة التي كان جالساً عليها الوزراء فقتلت وزير الحربيَّة المسيو برتو (Mr Berteaux) وجرحت رئيس الوزارة مونيس. ثم فشلت هذه الوزارة واستقالت وقامت وزارة ثالثة تحت رئاسة كاليو (Mr Caillaux) وكروبي المدليَّة وسلف للخارجيَّة ودلكاسه للبحريَّة وستيغ للمعارف وكان ذلك في اواخر حزيران ولم تطل مدتها الا ستة اشهر فان الانباء الاخيرة اعلنت بسقوطها في اوائل السنة الجديدة

واضطربت فرنسة بعدَّة فتن وحركات داخليَّة منها ثورة الكرّامين في مقاطعة شمبانية وتحاملهم على باعة الخمور المزيَّفة فحدثت لذلك مضاربات ومشاجرات احوجت الحكومة على التداخل في الامر وارسال القوّات العسكرية لاخماد الفتنة فلم تعد السكينة الا بعد افراغ الجهد الجهيد وعَقْد لجنةٍ تحاكم اليها الفريقان في دواي (Douai)

واستأنفت الماسونيَّة دسائسها بسعاية اصحابها سرّاً في الضباط الكاثوليك

ليمنعوهم من الترقي في مراتب الجيش كما فعلوا سابقاً . وفي ٢١ ايلول عقدت الماسونيَّة مؤتمرهـا السنوي في باريس تحت رئاسة دبيار (Debierre) فكان من اخصّ مقاصدها اضرام الحروب العوان على التعليم الديني والكتب المدارسيَّة الكاثوليكيَّة لتخريج الناشئة في المبادئ الحرَّة الكفرية . وكان في اثناء ذلك نوَّاب مجلس العموم الفرمسون يتجوَّلون في انحاء فرنسة ويتآمرون في محافلهم السرَّية لتنفيذ الاحكام الماسونيَّة في كل دوائر الدولة حتى ان السيو دلاشانل (M. Delachanel) في ٢٩ تشرين الثاني احتجَّ على هـذه السياسة الماسونيَّة في دار الندوة كما فعل سابقاً السيو براش (Prache) وانضم الوزير كايو مبيناً امام الجميع انَّ النواب الماسون يضحُّون بسياستهم الماسونيَّة كل كرامة فرنسة

وكان هذا التطرُّف الزائد قد هيَّج الرأي العام على الشيعة حتى انَّ الاشتراكيين نفسهم عقدوا الاجتماعات لماكسة الماسونيَّة فان نقابة الفعلة الباريسيَّة جمعت اصحابها في ٣ نيسان في باريس للاحتجاج على الماسونيَّة وقام فيهم خطيباً المسمى باتو (Pataud) زعيم رجال الكهربائيَّة في باريس وكشف كل دسائس الماسونيَّة . واثبت انَّ الشيعة تستخدم القَعَلة كآلات صمَّاء لتنفيذ مآربها وتضحية مصالحهم . فلحق من جرَّاء ذلك عارٌ عظيم على ابناء الارملة

وتجليت الماسونيَّة عاراً جديداً بنشر اوراق فلدك روسو ‎‏-Waldeck‏ (Rousseau السياسيَّة في جريدة الماتين الوالية للحكومة فعرف الكل انَّ ذلك الوزير بتحامله على الرهبانيَّات ومدارسها انما كان مرتشياً من اصحاب الشيعة

وتكرر خزي الشيعة التي كانت دسَّت احد اعضائها من شُرَط باريس ليقنع مجرماً رُفع للمحاكمة بقضية القتل اسمهُ ليرو (Leroux) بان يرمي الذنب على كاهن قرية ايغورناي (Igornay) الدعو الاب لارو (Laroue) . فقعل المجرم وأُلقي الكاهن في الحبس مدَّة ثلاثة اسابيع فاوسعت الجرائد الماسونيَّة شتماً هو وكلّ الاكليروس . لكن مهآذ الضمير لم يزل يثأر المجرم حتى طلب ان يجتمع أمام القضاة مع الكاهن لارو فلمَّا حضر الاب المذكور خرَّ القاتل على قدميه ونشدهُ الله باكياً الآن يغفر له التهمة الباطلة التي اتهمهُ بهـا وانَّهُ هو وحدهُ المذنب . فضمَّهُ الكاهن الى صدره وعيناه مغرورقتان بالدموع وسامحهُ . فكان لهذا الاقرار وقع

عظيم في نفوس الحضور وردّدتهُ كل الصحافة معلنةً بخبث الشرطي ومكر الماسونية مع الثناء الطيّب على شهامة الكاهن

وبينما كانت الشيعة تختلق هذه السعايات الكاذبة افتُضح احد كبار مشايعيها الاخ ∴ فلاشون (Flachon) مدير الجريدة لانترن (Lanterne) اقبح جرائد فرنسة كفرًا فثبت تدنيسهُ لثوب طهارة احد الصبيان وحُكم عليهِ بالاشغال الشاقّة في تشرين الثاني — وكذلك فُضحت الماسونيّة بحكم القضاة على دويز (Duez) المتولي تصفية اموال الرهبانيّات في فرنسة لاختلاسه منها جانباً كبيرًا مع اصحابهِ. فلمّا ثبت جرمهُ حُكم عليهِ في ٢١ حزيران بالحبس لمدّة ١٢ سنة

فاي عجب بعد ذلك ان كان الكاثوليك في العام المنصرم دافعوا عن حقوقهم مدافعة الابطال. وكان في مقدّمتهم اساقفتهم الذين نشروا التآليف المفعمة غيرة وحماسة في رذل الكتب الكفريّة التي جعلتها الحكومة في ايدي الاولاد في المدارس العموميّة. وكذلك اجتمع في ٨ كانون الثاني ١٣ اسقفاً وحرموا قراءة بعض الجرائد المعادية الدين وسمّوها باسمائها ولم يخف هؤلاء الاحبار من قيام انصار الماسونيّة عليهم في المحاكم العموميّة بل عدّوا الحكم عليهم شرفاً كالكردينال لوسون (Mgr Luçon) الذي قضى عليهِ مجلس ريمس بدفع ٥٠٠ فرنك كتعويض لجماعة المعلمين اللادينيّة (les Amicales). وكان بخلاف ذلك مجلس رودس-برز ساحة السيد دي ليغونس (de Ligonnès) للسبب عينه

وقد سرّنا ان تألّفت جمعيّات شتّى لمناهضة الماسونيّة ونشر اعمالها وكتاباتها السريّة. وفي اواسط تشرين الثاني عُقد المؤتمر الثاني لمناكفة الشيعة حضرهُ في باريس ممثلو ١٨ دولة بينهم بعض المصريين والسوريين

وكذلك عقد الكاثوليك عدّة مؤتمرات أُخر لتعزيز المشروعات الاجتماعيّة كمؤتمر الفعلة الكاثوليك الذي امتدّت فروعهُ اليوم في كلّ انحاء فرنسة وهي تبلغ ٤٥٠ فرعاً. واحتفلت ايضاً في أيار جمعيّة الشبان الكاثوليك بعرسها الفضي وهي اليوم من ازهر الجمعيّات واشدّها نفوذًا. وكذلك عُقد في ١١ حزيران مؤتمر «الاعمال الكاثوليكيّة العموميّة» بكل ابهة ورونق — ولم يكن في ٢٨ حزيران وفي ١٨ تموز اقلّ شأناً مؤتمران آخران عُقدا للدفاع عن المدارس الاكليريكية ولنشر المواعظ

والرياضات في قرى فرنسة. ومثلهما المؤتمر الرابع والثلثون لجمعية ائتلاف المعاهد التهذيبية في ٣٠ آب — وكان لاعياد جان درك في اورليان في ٢٣ أيار مشهد رائع اخذ بمجامع القلوب وازدانت المدينة بكل حلل البهاء والنور ليلاً مع نهار

ومما نال بهِ الكاثوليك فخرًا دخول السيد دوشان (Duchesne) في الاكادمية الفرنسوية في ٢٦ كانون الاول — وكذلك منحت الحكومة اوسمة الشرف لكهنة ورهبان وراهبات امتازوا بالفضل والخدم الجليلة لوطنهم فكان فعلها كاقرار بشرف الاكليروس والرهبانيات التي هي تضطهدها. وكان من جملة من ظفروا بهذه الهبات بعض المرسلين من رهبانيتنا في آطنة وبيروت — هذا وقد نالت كنيسة فرنسة مجدًا اثيلاً بنصب بناء فخري وتمثال فخيم لامير خطبائها الدينيين بوصويه الشهير في مدينة موّ (Meaux) وتمّ الامر بساعي السيد ماربو (M^{gr} Marbeau) خلفه الحالي على كرسي موّ فكانت الحفلة المنعقدة لذلك في ٨ تموز من اجلّ الحفلات — واعظم منها جلالاً حفلة نقل ذخائر القديس فرنسيس دي سال في انسي الى الكنيسة الجديدة المبنيّة لذكره فتقاطرت الجموع من كل انحاء البلاد لهذه الحفلة وبالخصوص الالوف المؤلفة من اهالي مقاطعة سابوديا واسم فرنسيس دي سال لا يزال بينهم حيًا محبوباً

ومما أصيبت بهِ فرنسة في العام الماضي من المصائب المؤلمة انفجار ثلاث من دوارعها الحربيّة كلوار (Gloire) وكوربه (Courbet) وليبرته (Liberté) في اواخر ايلول فقتل كثيرون من بحّارتها وابدت البلاد حدادها على الموتى وابرق الحبر الاعظم الى رئيس الجمهورية يعزيه في هذه الفاجعة وكذلك اسرع السيد كيلبرت (M^{gr} Guillibert) الى عيادة المجروحين وأُقيمت الجنازات الدينيّة المؤثرة لتذكار الموتى. وكان وافق يوم انفجار الدارعة كلوار تدشين الدارعة جان بار (Jean - Bart) في برست التي محمولها ٢٦,٠٠٠ طنّ

وكذلك رُزئت فرنسة في ١٠ تشرين الاوّل بوفاة احد مشاهير قوّادها الكاثوليك وهو الجنرال اثناس شارِتّ (Ath. Charette) البطل المغوار الذي دافع عن حقوق الكرسي الرسولي مع الزواوة في ايطالية ثم حارب في سبيل وطنهِ سنة ١٨٧٠ فنزل في حومة القتال في لواني (Loigny) مظلَّلاً براية قلب يسوع فاكسب هو وذووهُ فرنسة شرفاً مخلَّدًا

وفي ١٠ أيار توفي احد علماء فرنسة بالفنات الشرقية المرحوم روبنس دوفال (R. Duval) الشهير خصوصاً بتآليفه السريانية

امّا امور فرنسة الخارجية فاخصّها فوز سياستها في مراكش فانَّ فتن الحزب المناكس هناك لولاية مولاي حفيد سلطانها اقتضت فرنسة ان ترسل اليها عدداً من الجند بلغ ٣٠,٠٠٠ فجرت عدّة وقائع دموية وقُتل بعض ضبّاط الأ ان الجنود الفرنسوية بلغت اخيراً فاس حاضرة مراكش تحت قيادة الجنرال مانجان (Mangin) وكسرت شوكة الاعداء. وقد مرَّ بك ما دار اذ ذاك بين فرنسة والمانية من المفاوضات في شأن حماية الاولى وسيطرتها وكيف انتهت تلك الازمة. فلم يبقَ الآن الّا المخابرات مع اسبانية والامل معقود انَّ الاتفاق بين الدولتين يتمّ قريباً

وفي اواسط الصيف اجمر الرئيس فاليار من دنكرك الى هولندة فاستُقبل استقبال المنتصر في شانتيج ولاهاي

﴿ اسبانية ﴾ كانت اسبانية في اوائل السنة ١٩١١ في حالة حرجة لسوء تصرُّف رئيس وزارتها كناليجاس الذي كان يتقرَّب من الاشتراكيين ذوي عزائمهم فصدت البحريّة الى الثورة تعلن بالجمهوريّة فحصلت عدّت مشاغبات وفتن فهم كناليجاس انَّ تساهله يقضي بالدولة في التهالك وغيَّر خطّته ثمّ اتّخذ الوسائل الفعّالة لكبح شرّ الفوضى .

ومن مساعي الاشتراكيين في اسبانية انهم حاولوا استئناف قضيّة فرير لزعمهم انَّه قُتل ظلماً فقدم النائب الجمهوري سوريانو وطلب في ٢٨ اذار ان تُستأنف الدعوى لكنّهُ لمّا اوقفهُ وزير الدولة على اوراق الحكم وتفاصيلها اقرَّ جهاراً بانَّ فرير اثيم وان الحكم بموته عادل

وكانت الحملة الاسبانية في شمالي مُراكش ساعية في توطيد اعمالها العسكرية بعد ان سافر الملك الفونس الثالث عشر الى مليلة في قوّة السنة لتنشيط الجنود المحتلّين هناك الّا ان المُراكشيين لم يدعوا فرصة لمقاتلة الاسبان حتى ألحقوا بهم خسائر عديدة . وفي ١٤ تشرين الاوَّل قتلوا القائد اوردونيس في احدى الوقائع لكن الاسبان مصمّمون على مواصلة الحرب. امَّا بعد المعاهدة الافرنسيّة الالمانية فلم يبقَ لاسبانية الّا ان تتفق مع فرنسة على شروط احتلالها في شمالي مُراكش

ومن المعلوم انَّ اسبانية كانت قطعت العلاقات الرسميَّة مع الكرسي الرسولي بسبب احتجاج الحبر الاعظم على سوء تصرُّف كناليجاس في احكام دينيَّة لكنَّ الملك الفونس استأنف المخابرات مع رومية بعد ان وقع اختيار الكاثوليك على مدريد للمجمع القرباني فارسل الملك رسالة يشكر فيها الحبر الاعظم على هذا الامتياز ثم عيَّن في ١١ حزيران سفيرًا جديدًا لدى الكرسي الرسولي السنيور نفارُّو ديفرتو. وفي ١٣ حزيران كان افتتاح المعرض القرباني برونق عظيم فخيّل انَّ اسبانية الكاثوليكيَّة تراكضت من اقاصي البلاد تعلن بايمانها ودامت تلك الحفلات البهيَّة ثمانية أيام خُتمت بطواف فاخر لاكرام القربان الاقدس حضرتهُ المدينة كلها وزاد حضور الملك لتلك الحفلات رونقًا. وكان الحبر الاعظم عيَّن لرئاسة المجمع كنائبه الخاصّ جاثليق اسبانية ورئيس اساقفة طليطلة الكردينال آغير. وفي اثناء الحفلات ابرق الملك الى الحبر الاعظم معربًا عن سروره بتلك المظاهرات الدينيَّة الفخيمة فجاء جواب امام الاحبار يتدفَّق لطفًا وحنانًا لاسبانية وملكها. وممَّا جرى حينئذٍ من الحفلات المؤثرة تقرُّب عشرين الف ولد لاوَّل مرَّة من القربان الاقدس فأُقيمت الذبيحة في حديقة كبيرة على ثلاثة مذابح وتناول الاحداث من ايدي الاساقفة ومرُّوا امام نيافة الكردينال اغير الجالس على سدَّة عالية فباركهم

﴿ البرتغال ﴾ جارة اسبانيــة تتخبَّط في الثورة والفوضى كما رأيت في مقالتنا المنونة « مولد جمهوريَّة البرتغــال اللاسونية » (المشرق ١٤ : ٤ : ٧٠) فانَّ اصحابها بدلًا من السعي باصلاح الاحوال وجمع الكلمة الذبّ عن الوطن لا همَّ لهم سوى اضطهاد ارباب الدين وبثّ المبادئ الفاسدة. وقد حكموا مؤخرًا بعزل غبطة بطريرك ليسبونة السيد مندس بلُّو (Mgr Mendes Bello) ثم بحبسهِ ونفيهِ الى افريقية. وترى الجمهوريين مع ذلك في انقسام وخصام حتى سقطت وزارتهم مع حداثة عهدها في ٢ ايلول وقامت وزارة جديدة برئاسة جواو شاغاس من الدّ اعداء الدين الذي كرَّر الغارة على انصار الملك مانويل والاكليروس كخلفهِ فازدادت الاحوال خرابًا واخذ الشعب يتأهَّف على الحكومة السابقة مع خللها

ومن عجيب الامور انَّ انكلترة اثبتت حمايتها على رعاياها في البرتغال رغمًا عن الجمهوريين فترى دعاة الدين البروتستاني يتمتَّعون بالحريَّة التامَّة لنشر تعاليمهم

وتهذيب اكليروسهم والمجاهرة برتبهم الدينيَّة ولبس الثياب الخاصَّة بهم بخلاف الكهنة الكاثوليك الذين لم يَعُد يُسمح لهم ان يظهروا في الشوارع بشارات دينهم او يلبسوا ثيابهم الاكليريكيَّة. فما اخفَّ نير الماسونيَّة!!

﴿ ايطالية ﴾ ارادت ايطالية في العام المنصرم ان تحتفل بالسنة الخمسين لاعلانها بالوحدة الايطاليَّة والسنة الاربعين لاغتصابها املاك الكرسي الرسولي. غير انَّ هذه الحفلات بقيت غالباً منحصرة في الدوائر الرسميَّة فانَّ الكاثوليك كما لا يخفى رأوا في تلك المظاهرات اهانة لدينهم فعدلوا عنها. امَّا الفوضويّون والاشتراكيُّون فانهم ابوا حضورها لتوجيه الدولة كل اكرامها للملك فكتور عمانويل الذي اقامت لذكرهِ مشهداً مع كونها ضربت صفحاً عن زعيمي الوحدة الايطاليَّة مازيني وغاريبلدي. وكانت الحكومة اعدَّت معرضاً عمومياً دعت اليهِ الملوك ورؤساء الدول وتكلَّفت عليهِ النفقات الطائلة فلم يحضرهُ احد منهم وبلغت خسارتهُ عدَّة ملايين فنسب اليهودي ناثان رئيس بلديَّة رومية هذا التقصير للحبر الاعظم وللحزب الاكليريكي. وزاد الامر تقهقراً بسقوط وزارة لوزاتي في ١٨ آذار في اليوم التابع لافتتاح المعرض. ثم جاءت في اواسط الصيف عدوى الهواء الاصفر في رومية وانحاء ايطالية فكانت بلاء على بلاء.

ومن عجيب الاتّفاق انَّ ايطالية التي كانت تطرىء معرضها وتصوّر حفلات عيدها الخمسيني كتوطيد السلام هي هي قامت في اواخر ايلول وباشرت بغتةً بتلك الحرب المشؤومة التي نشعر بانعكاس فعلها حتى في اقطارنا فرددت كلمة مازيني التي قالها سنة ١٨٣٨: «انَّ شمالي افريقية مالك من املاك ايطالية» وكررت بقول بيسمارك سنة ١٨٦٦: «انَّ ملك البحر المتوسط يخصّ بلا مراء ايطالية». وكان اعلان الحرب في ٢٩ ايلول فضربت اوَّلاً السفن الايطالية طوربيداً في بريفيزا جنوبي جزيرة كورفو. ثمَّ سارت الى طرابلس فاطلقت عليها القذائف في ٣ تشرين الاوَّل وانزلت جنودها الى البرّ في ٥ منهُ ومذ ذاك الوقت استولت على سواحل طرابلس امَّا داخليَّة البلاد فلم يتوغَّل فيها الطليان كثيراً مع انَّ مجموع عساكرهم يبلغ اليوم في طرابلس ١٢٠ الفاً. وكانَّ ما وجدوهُ هناك من المقاومة قد احنقهم فاخذوا يتهدَّدون سواحل البحر الاحمر فضربوا بعض المدن ودمَّروا قسماً من السفن التركيَّة. على انَّ

الدولة العثمانيّة لم تغض على القذى وقد اظهرت جنودها من البسالة ما لم يكن في حسبان الايطاليين ثم صادرت التجارة الايطاليّة في بلادها فالحقت بها خسائر لا تحصى

وممّا طنطنت بهِ الجرائد الايطاليّة في العام الماضي دعوى الكاهن الجاحد لدينهِ المسمّى ڤرديزي (Verdesi) الذي اتّهم احد الرهبان اليسوعيين الاب بريكارلي بكشف سرّ الاعتراف فاقام الاب المذكور دعوى على المتّهم فاثبت كذبهُ وحُكم على ڤرديزي بالحبس ودفع كُلف الدعوى. وكان هذا الحكم انتصاراً للكثلكة

❁ بلجكة ❁ في هذه السنة تواطأت الاحزاب المعاكسة للحكومة على جمع قواها ونزع السلطة من الكاثوليك ففازت ببعض مناها وسقطت وزارة شولرت (Schollaert) وقام بدلاً منهُ البارون دي روكڤيل (Bon de Roquevilie). ولمّا جرت الانتخابات كسب الاشتراكيّون والاحرار بعض كراسي في مجلس الندوة الّا انّ عدد الاصوات كان اوفر جدًّا للكاثوليك الذين لا يزالون في مقامهم. امّا اعداؤهم ففضّلوا تضحية مبادئهم لنوال فوز زهيد لم يُظفرهم بالنصرة التامّة. ومع ذلك ملأ الماسون البلاد صخباً وعمدوا الى مظاهرات شتّى في بروكسل وغيرها لكنّ المحافظين الكاثوليك كالوا لهم الكيل بالكيل وردُّوا كيدهم في نحرهم في لوڤان ومن ثم رأوا ضرورة توثيق عُرى وحدتهم

❁ هولندة ❁ نصبت علمها على جزيرة بلماس بدلًا من العلم الاميركي بعد اتّفاق الدولتين

❁ روسيّة ❁ دهم بلادها في جهات تركستان زلازل هائلة قوّضت ابنية بعض مدنها وتلت ذلك عدوى الطاعون فاجتاحت عدداً عديداً من اهلها حتى اضحت بعض الانحاء قفراً مقفراً. وجاءت بعد ذلك المجاعة فكانت ثالثة الاثافيّ وذهبت بنفوس الوف مؤلّفة من اهل سيبريا

وحصل في آذار جفاء بين روسيّة والصين لنقض الصين بعض معاهداتها فارسلت روسيّة مذكّرة تنبهها الى انّ عملها سيفضي الى حلّ عُرى الصداقة فلم ترَ الصين بدًّا من ترضية جارتها القديرة

هاج الروسيون على اليهود في كياف ثم في ڤرسوڤيا لقتل ولد مسيحي ادّعى الرأي العام ان اليهود قتلوه لغاية دينيّة في نصحهم. ولمّا حاولت الحكومة ان تتحقق الامر شرعيًا والحّ الكنت ستوليين على القضاة بإثبات الدعوى قام يهودي آخر اسمهُ بوغروف فكاد لحياة الوزير ستوليين حتى قتلهُ واقرّ قبل عقابهِ انهُ فعل ذلك انتقامًا منهُ لطلبهِ اقامة الدعوى على مندل بيليس (M. Beiliss) المتهم بقتل الصبي في كياف — وقد مرّ في ما سبق ما حصل من توتّر الاحوال بين روسيَّة وايران — وكذلك هاج الرأي العام في تركيا لطلب الدولة السكوبيّة فتح الدردنيل لسفنها الحربيّة لكنّ الدولة العليّة اجابت جوابًا سلبيًا على هذا الطلب الذي يفتح بلادها لنفوذ الاجانب

﴿ بلغارية ﴾ اجرت انتخابات مجلسها العمومي في ١٩ حزيران فكانت الاغلبيّة للنوّاب الموافقين للحكومة فبلغ عددهم ١٢٦ ولم يتجاوز عدد المعاكسين ٦٨. وفي ١٠ تموّز عقد المجلس الاعلى المعروف بالسوبرانيه فصادق ٣٣٢ من النواب والاعيان على ترقية اميريّة البلغار الى ملكيّة وفوّضوا الى الملك السلطة في المعاهدات دون رخصة مجلس الندوة — وفي اواسط كانون الاوّل حصلت في ثغور تركيا والبلغار مناوشات بين خفراء الدولتين. فخشي ان تتجسم الامور وتؤول الى حرب لكنّ الله كفانا شرّها بحكمة العقلاء.

﴿ اليونان ﴾ لا تزال احوالها الداخليّة في اضطراب مع عجز ماليّتها — وقد أصيبت تجارتها بضربة موجعة لمقاطعة بضائعها في الدولة العثمانيّة مدى السنة حتى الخريف — وكانت كريت تواصل مساعيها للدخول في حكم اليونان فاضطرّت الدول غير مرّة ان تحول دون رغائبها حاضرًا

﴿ موناكو ﴾ منح في ٥ ك ٢ اميرها البار الاوّل دستورًا لبلاده التي لا يبلغ اهلها عشرين الفًا فاذاقهم حلاوة الحكم الدستوري

٣ ماجريات اميركا

﴿ اميركا الشماليّة ﴾ الولايات المتحدة تجري في الرقي والعمران جري الجبابرة وقد سبق في المشرق (١٤ : ٧٢١) كلام طويل في مركزها الاقتصادي الممتاز. ولما انتهت في غاية حزيران السنة الماليّة وجدوا انّ صادرات البلاد زادت على

العامَ السابق بما يساوي مليارين دولار وانَّ الربح الخالص ينيف على ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠

وقد نالت الولايات المتحدة من الصين امتيازات مهمَّة لمدّ سكة هونكنغ الحديديَّة واصلاح الجمارك . وكذلك عُقدت معاهدة مع اليابان واتَّفقت فيها الدولتان على عدَّة امور كمسألة المهاجرين من بلاد الى اخرى

ادَّت نتيجة الانتخابات في الولايات المتحدة الى فوز الجمهوريّين وكان السبق قبلًا للنوَّاب الديموقراطيين

في تموز احتفل الكاثوليك في بلتيمور بيوبيل الكردينال جيبونس اذ وافقت هذه السنة تمام خمسين عاماً على كهنوته و٢٥ عاماً على ترقيته الى الكردينالية فاقيمت لهُ حفلة عظيمة حضرها رئيس الولايات المتحدة تافت والمستر تيودور روزفلت وكثير من الاعيان والنواب وممثلي الدول مع جمهور بالغ ١٥,٠٠٠ نسمة خطب فيها كثير من الخطباء المفوَّهين ورفعوا شأن الكنيسة الكاثوليكيَّة وصاحب العيد

والحقّ يقال ان الرئيس تافت لا يدع فرصة في تعظيم الدين الكاثوليكي وارباب . وقد روى البشير في ٥ ايلول خطبتهُ البديعة عند زيارته دير الجمانيَّة حيث مدح الرهبان واطرأ اعمالهم

ومن مرويات اميركة الشماليَّة المؤتمر الذي عقدهُ الكاثوليك في شيكاغو حيث احتجَّ الكاثوليك على كارنجي المثري الاميركي الكبير لتخصيصه مبالغ وافرة من ماله لتعزيز التعليم اللاديني ومضرَّة البلاد

وعلى خلاف ذلك استدعت حكومة كولومبية الآباء اليسوعيين ووكلت اليهم فتح كليَّة يعلّمون فيها العلوم العليا ويمنحون اجازة الدرجات الاكاديميَّة ووعدت الحكومة بأنها تقدّم لهم مساعدة ماليَّة سنويَّة على شروط معلومة

❊ كندا ❊ في هذه السنة جرى بعض التحوير في سياسة كندا وهي بلاد يتنازعها العنصران الاميركي والانكليزي وقسم كبير من اهلها فرنسويون كاثوليكيّون متحمّسون في دينهم فسعى العنصر الاميركي ان يغلّب فيها اللغة الانكليزيَّة والعادات الاميركيَّة ويضعف حياتها الاستقلاليَّة وحبَّها لفرنسة فقاومهُ معظم الفرنسويين وقام الاساقفة يدافعون عن حقوق الكاثوليك ويطالبون بحفظ امتيازاتهم ففاز سهمهم

وقد تمين لكندا كحاكم عومي باسم بريطانة دوق دي كونوت فاستقبل بكل رونق وفرح

وممّا تحققوهُ بالاحصاء الاخير انّ اهــل كندا يهاجرون كثيرًا الى الولايات المتحدة حتى انّ عددهم البالغ سابقًا ثمانية ملايين من النفوس سقط في هذا الاحصاء الى سبعة ملايين

﴿ المكسيك ﴾ كانت جمهوريّة المكسيك في هذه السنة في هرج ومرج لقيام اهلها على الرئيس پورفيريو دياز الذي منذ ٣٥ سنة يضبط زمام الامور رغماً عن كل معاكسيه وخلافاً للقوانين الدستوريّة وقد تمكّن من حفظ سلطته بكل انواع الاستبداد والظلم مع مساعدة انصارهِ فما كان احد يجسر ان يقاومهُ واذا فعل شعر بعد قليل بمفاعيل غيظهِ فيُقتَل خفيةً ويذهب دمهُ هدرًا ٠ وكانت الماسونيّة وهو احد اعضائها تعضدهُ في كلّ مشاريعهِ حتى طفح الكأس في هذه السنة وقام لمحاربة دياز رجال ذوو إقدام وأنفة كفرنسيسكو ماديرو وفلورس ماغون وقامت الحرب الاهليّة على ساق وسالت الدماء الى ان اضطرّ پورفيريو دياز ان يقدّم استعفاءهُ٠ والمقدَّم حتى الآن هو ماديرو وقد انحاز اليهِ الكاثوليك الذين كانوا سابقًا حائدين عن الاحزاب السياسيّة ومن المنتظر ان يفوز تمامًا عمّا قريب

﴿ اميركا الوسطى ﴾ ليس بين جمهوريّاتها في السلم سوى حكومتي كوستاريكا وسان سلفادور امّا نيكاراغوا وهندوراس فكانتا في قلق واضطراب لاختلاف احزابها ٠ وكانت جمهوريّة غواتالا تئنُّ للضنك اللاحق بها من قِبل رئيسها استرادا كبريرا

﴿ اميركا الجنوبيّة ﴾ غلب السلم على جمهوريّة شيلي التي بعد احتفالها بالمئة الاولى على استقلالها لم تزل ترقى في معارج الفلاح والحريّة الصحيحة وتعزيز الدين٠ وكذلك الهدوّ والوفاق سائدان في بلاد پيرو وكولومبية٠ امّا بقيّة البلاد فانّها لم تخلُ من حركة وهيجان فان اهل باراغواي احتشدوا على رئيسهم وقبضوا عليهِ وحبسوهُ حتى اكرهوهُ على الاستعفاء واقاموا بدلًا منهُ رئيس المجلس السنيور ليارالو ٠ ويودّ اهل اوروغواي ان يكرروا نير رئيسهم باتل اي اوردونيس (Batile y Ordónez) لضغطهِ عليهم واستبدادهِ المفرط ٠ وكذلك جمهوريّة

الارجنتين فانّ بعض الفوضويين اقلقوا راحتها في حاضرة البلاد

امّا البرازيل فثار فيها قسمٌ من بحريّتها وتهدّدوا ريو دي جانيرو ولم يخلدوا الى السكينة الّا بعد ان نالوا الامان التام . وكادت الملاقات الوديّة بين البرازيل والكرسي الرسولي ان تنقطع بسبب تجاوز الحكومة حدودها في بعض الامور الدينيّة لكنّ الامل معقود بقرب اتّفاق الجانبين. وقد التجأ اليسوعيّون البرتغاليّون بعد نفيهم من وطنهم الى البرازيل حيث رحّب بهم الاهلون وفتحوا مدرسةً كبيرة في مدينة بايا (Bahia)

﴿ اوستراليّة ﴾ امورها في خطة النجاح. وانّما فقد الكاثوليك رجاهم العظيم الكردينال موران (M^{gr} P. F. Moran) الذي احسن تدبيرهم منذ جلس على كرسي اسقفيّة سيدناي سنة ١٨٨٤ وكان الحبر الاعظم لاون الثالث عشر رقّاه الى منصب الكرادلة سنة ١٨٨٥ وتقدّمت الكثلكة في عهده تقدّماً قلّما يُرى نظيره

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الثامن

النصرانيّة في الجزيرة

تتبعنا آثار النصرانيّة بين العرب في الجاهلية على حدود بحر فارس ثم في جهات العراق ورأينا ما خلفتهُ لنا التواريخ من اخبار الدين المسيحي في الممالك الثلاثة الكبرى التي اقتسمت جزيرة العرب اعني دول الغساسنة والتبابعة والمناذرة. وحتى الآن لم نستوفِ مآثر نصارى العرب على التخوم التاصلة بلادهم عن البلاد المجاورة فممّا لم نذكرهُ حتى الآن السهول الواسعة والبقاع الرحبة الممتدة من جهات الموصل الى مجرى الفرات المتوسطة بين الارمن والشام . فهناك مفاوز متسعة يسقيها النهران

الكبيران دجلة والفرات مع عدَّة انهار تنصبّ فيها اخصها الخابور. فتلك البوادي التي كانت الامم القديمة تتزاحم في ملكها لخصبها العجيب ووفرة خيراتها وسعة غلّاتها ازهرت فيها مدن عديدة وحواضر عمّرة لم يبقَ من اكثرها اليوم غير اخربة مهيبة او مدن ثانويّة تنبي بعظم مقامها في القرون الغابرة كنصيبين ودارا ودُنيسر وآمد وميافارقين وسعرت وماردين والرقّة ورأس العين وقرقيسيا والرها التي يُطلق على مجموعها اسم الجزيرة

فتلك البلاد المتدفقة بالنعم الزاخرة بالخير قد احبّتها منذ سالف الاجيال قبائل العرب سواء كانوا من اهل الحضر او من اهل المدر اذ كانوا يجدون فيها ما يصلح لمعاشهم الساذج ولرعية مواشيهم فينتقلون اذا شاءوا من الارياف الى البراري ليس من يتعرّض لاستقلالهم او يتداخل في امورهم غير شيوخهم وامراء عشائرهم

ومما يدلّ على انتشار القبائل العربيَّة في الانحاء المذكورة أعلامها المشيرة الى قاطنيها كباعربايا وجزيرة ابن عمر وديار ربيعة وديار بكر وديار مضر وغير ذلك مما ينوه اسمهُ باصل سكانه. فباعربايا او بيت عربايا اسم لثلاثة اماكن احتلّها العرب اخصها مدينة كانت قريبة من نصيبين. وجزيرة ابن عمر وعلى الاصحّ « ابني عمر » هي مدينة موقعها على دجلة يدعوها الكلدان بازَبدى ثم نُسبت الى ابني عُمر وهما على ما روى ابن خلكان « اوس وكامل ابنا عُمر بن اوس التغلبي »

امّا ديار بكر وديار ربيعة وديار مُضر فقد احسن في وصفها ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٣٦ — ٦٣٨) فقال عن ديار بكر :

« ديار بكر هي بلاد واسعة تُنسَب الى بكر بن وائل . . . بن ربيعة بن نزار بن معدّ ابن عدنان وحدّها ما غرّب من دجلة من بلاد الجبل المطلّ على نصيبين الى دجلة ومنهُ حصن كيفا وآمد وميافارقين. وقد يتجاوز دجلة الى سعرت وحيزان وحيني وما تخلّل ذلك من البلاد ولا يتجاوز السهل »

وقال عن ديار ربيعة :

« ديار ربيعة بين الموصل الى رأس عين ودُنَيسر والخابور جميعهُ وما بين ذلك من المدن والقرى وربّما جُمع بين ديار بكر وديار ربيعة وسُمّيت كلها ربيعة فانّهم كلهم ربيعة. وهذا اسمٌ لهذه البلاد قديم كانت العرب تحلّهُ قبل الاسلام في بواديه واسم الجزيرة يشمل الكلّ »

وقال في ديار مضر :

« ديار مُضر هي ما كان في السهل بقرب من شرقيّ الفرات نحو حرّان والرقّة وشمشاط وسروج وتلّ مُوزَن »

اما القبائل التي كانت تسكن في تلك الجهات فكانت من ذرّيّة نزار بن معد كاياد بن نزار بعد فرارهم من تخوم العجم ومُضر بن نزار منهم بنو النمر بن قاسط ولا سيما بني ربيعة منهم خصوصاً بنو تغلب وبني بكر وبني شيبان. قال ابو محمّد الحسن الهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب (ص ١٣٢ ed. D. H. Müller) يذكر منازل تلك القبائل :

« ثمّ تأتي الفرات من بلد الروم شاقّاً في طرف الشام على الثواء الى العراق فغربيُّهُ ديار كلب وشرقيُّهُ ديار مُضَر (فيها) من المدن الرافقة وهي على شط الفرات يسكنها اخلاط مُضر. وحرّان موضع آلة القياس شكل الاسطرلابات وغيرها. . . لبني تميم ومن يخالط بني سُليم. والرُّها لبني سُلَيم وكنيسة الرها التي يُضرَب بها المثل. وتَرعُتها والخابور لبني عُقَيل اعلاه ولبني مالك وبني حَبيب وبطون تغلب الباقي. ثمّ آخر ديار مضر رأسُ العين للنمر ابن قاسط

(ديار ربيعة) ومن خلفها. اولها وآخر ديار مضر رأسُ العين. ثمّ كفرتوث بجثم عن ايامنها مارّة من موضع الجنّات المضروب بها المثل وهي تطلّ على دارَين ثمّ نصيبين. . وهي دار آل حمدان بن حمدون موالي تغلب. فمن نصيبين الى أذرَمة والشّبيبة مسيرة يوم وعن ايمن ذلك جبل سنجار جبل شراة بين تغلب والشراة منها بنو زهير وبنو عمرو ثمّ من ايمن ذلك دُهناً الى رحبة مالك بن طوق وقرقيسا ثمّ ترجع الى اذرمة الى برقعيد وهي ديار بني عبد من تغلب. . . ثمّ منها الى بلَدَ وفيها شراة وغير ذلك الى حدّ الموصل. وان اردت بعد ارض الموصل مررت بتكريت وكان (نهر) الثرثار عن يمينك. واكثر اهل الموصل مذحج وهي قريبة فان تياسرت منها وقعت الى الجبل المسمَّى بالجودي يسكنهُ ربيعة وخالطهُ الاكراد وخلف الاكراد الارمن. وان تيامنت من الموصل تريد بغداذ فتينك المدينة وجبل بارماً يسمَّى اليوم حمرين. . ثمّ السنّ والبوازيج بلاد الشراة من ربيعة ثمّ يقع في جبل الطور البحري وهو اوّل حدود ديار بكر وهو لبني شيبان وذوبها لا يحازجهم الى ناحية خراسان الّا الاكراد »

فاذا عرفت حدود الجزيرة والقبائل العربيّة المنتشرة فيها بقي علينا ان نبين ما كان للنصرانيّة من النفوذ بينها فنقول :

انّ اوّل برهان يثبت دخول النصرانيّة بين عرب الجزيرة ما اصاب هذا الدين من الانتشار السريع الغريب في ما بين النهرين كما تصرّح به كل الآثار التاريخيّة والكتابية والبنائية كالكنائس الباقية الى يومنا الراقية الى القرن الرابع والخامس

للمسيح وكصوامع الرهبان ومغاورهم. فلا يقبل العقل انّ عرب الجزيرة لم ينالوا من الدعوة المسيحية حظّهم كما اصابهُ اخوتهم في بادية الشام وفي اليمن والعراق ولهم في شظف عيشهم وسلامة طباعهم ما يعدّ قلوبهم لقبول ذلك الزرع الالهي الذي اتى بهِ ابن الله الى الارض وبذرهُ في التربة الجيدة ولاسيما بعد ان عاين اهل الجزيرة مع العرب (اعمال ٢:٦-١١) العجزات التي جرت يوم حلول الروح القدس في اورشليم

ولنا دليل ثانٍ على تديّن عرب الجزيرة بالنصرانية بعد نبذهم لشرك الوثنية ألا وهو الغيرة الملتهبة التي كانت في قلوب الرسل والدعاة الاوّلين النصرانية فانّ بعضهم بلغوا الى اقاصي الارض كما رأيت فما قولك بالبلاد المجاورة لليهوديّة التي كثرت فيها المعاملات مع فلسطين منبع الدين المسيحي

ثالثاً وان استقرينا التواريخ القديمة والتقاليد المحليّة والطقوس السريانيّة وجدناها كلها تتفق على ذكر دعوة العرب الى الايمان بالمسيح كدعوة بقيّة اهل الجزيرة. قال عبد يشوع الصوباوي في ذكر اذّي رسول الجزيرة ما تعريبهُ: «قد اقتبلت الرها ثم نصيبين وسائر العرب وكل تخوم الجزيرة الكهنوت المقدس من اذّي احد السبعين تلميذاً». وقال ايليا الاسقف الدمشقي يذكر اذّي وتلميذهُ ماري: «وكان الداعي والمنصِّر والتلمذ والمدبِّر بالجزيرة والموصل وارض بابل والسواد... ونواحي الاعراب من التلاميذ السبعين اذّي وماري (١)». وقال ماري بن سليمان (ed. Gismondi, p. 2): «وتوجه آحي وماري (تلميذا اذّي) الى نصيبين واعمدا اهلها وتنفّذ ماري الى المشرق وآحي الى قردى وبازبدى ثم توجّه اذّي الى المشرق وبدأ بناحية حزّة والموصل وباجرمي وعاد الى مدينة الرها واستراح فيها بعد ١٢ سنة...» وقال ايضاً: «واذّي قصد مع آحي ومار ماري بلاد الرها والموصل وبابل والشمال والجنوب وبوادي المغرب (والصواب: العرب)». وجاء في اخبار فطاركة كرسي المشرق لعمرو بن متى الطيرهاني (ص١ ed. Gismondi) مصرّحاً: «ثم انهُ (اي ماري) بادر الى تلمذة جميع نواحي ارض بابل والعراقين والاهواز واليمن والجزائر وبلاد العرب سكان الخيم ونجران وجزائر بحر اليمن»

ويمكننا ان نضيف الى هذه الشهادات ما رويناه سابقاً عن تبشير عرب العراق

١) اطلب المكتبة الشرقيّة للسمعاني (٤:٥-٢٥)

فانّ الشواهد المرويّة هناك عن الرسل وتلاميذهم تصحّ في عرب الجزيرة. ومثلها اقوال المؤرخين في بشارة الرسول برتلماوس للعرب. وكذلك ورد في السنكسارات القديمة وفي خطط المقريزي (١ ان يهوذا الرسول المعروف بتداوس «كرز في سوريّة والجزيرة »

دابماً وان تخطّينا عهد الرسل الى القرن الثاني والثالث للمسيح رأينا بلاد الجزيرة زاهرة بالدين النصراني. ففي الرها كانت الترجمة الاولى للكتب المقدّسة الى السريانيّة وهي الترجمة المعروفة بالبسيطة في اواخر القرن الاوّل للمسيح او اوائل الثاني (٢ وهناك تولى طاطيانوس تلميذ القديس يوستينوس الفيلسوف الشهيد في القسم الثاني من القرن الثاني تنسيق الاناجيل الاربعة برواية واحدة تعرف بالدياطاسارون (٣. وهناك تنصّر الاباجرة مارك الرها سواء يُسلّم بصحّة المكاتبة بين السيد المسيح والابجر المعروف باوخاما كما تعتقدهُ الكنائس السريانيّة او يؤجل تنصرهم الى ايام كراكلا بوجوع ابجر التاسع (١٧٩–٢١٤) وهناك عُقد مجمعان واحد ذكرهُ اوسابيوس في تاريخه (ك ٥ ف ٢٢) نحو سنة ١٥١ للمسيح التأم فيه ١٩ اسقفاً للنظر في امر الفصح وتعيين يومه (٤. والآخر عُقد بعدهُ بزمن قليل للنظر في اقوال بعض المبتدعين كتاودوطس وابيون وارتيمون حضرهُ ١٤ اسقفاً (٥ فكفى بعدد هؤلاء الاساقفة دليلاً على انتشار الدين المسيحي في زمن قريب من رسل الربّ يؤيد ما جاء في تقاليد كنائس الجزيرة عن اسماء عدّة اساقفة رعوا المؤمنين قبل القرن الرابع في مدن عديدة كنصيبين وبازبدى (جزيرة بني عمر) وآمد والرقة وعلمّ جرّا

امّا كون العرب هناك كانوا من جملة المتنصرين فيشهد عليه ابن ديصان الذي عاش في الرها (١٥٤ – ٢٢٢) فيذكر اهل الرها واهل حضر (٦ وكانوا من عرب قضاعة عليهم ملكٌ يمتدّ ماكهُ في انحاء الجزيرة فقال عنهُ عديّ بن زيد:

١) اطلب الخطط طبعة بولاق (٢ : ٤٨٢)

٢) راجع ويسمان (Wiseman: *Horæ syriacæ*) وتاريخ الآداب السريانيّة لرَيْت (ص ٣)

٣) اطلب المشرق (٤ : ١٠٠)

٤) اطلب مجموع المجامع لمانسي (Mansi, *Collectio Conciliorum* I, 719 et 727)

٥) فيه Ibid.

٦) اطلب كتاب الشرائع لابن ديصان (Bardesane: *le Livre des Lois des Pays*, p. 59)

واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة تجبى اليه والخابور

خامساً ثم جاء القرن الرابع والخامس فكانا زمن انتصار الدين المسيحي في العالم الروماني فظهرت النصرانيّة في كل رونقها وجلالها في انحاء الجزيرة فاستقت القبائل العربيّة هناك من مواردها العذبة وكان ذلك على الاخص بواسطة الرهبان والسيّاح الذين اختاروا بلاد الجزيرة ليقدّسوها بفضائلهم كما قدّس سيّاح مصر بلاد الصعيد. وكان منشئ العيشة الرهبانيّة في الجزيرة القديس اوكين من تلامذة القديس انطونيوس الكبير. وقد اجمع المؤرخون الكلدان والسريان انهُ قدم من مصر في الشطر الثاني من القرن الرابع وسكن في جبل نصيبين المسمّى جبل الإزل وبشّر بالايمان في نصيبين وعمّد عاملها واولاده وطاف بلاد قردى وبازبدى وجهات نصيبين حيث كانت قبائل العرب وتلمذ الناس وبنى الاديرة منها دير الزعفران مقام بطاركة اليعاقبة في يومنا وهو قرب ماردين وتتلمذ لهُ عدد من الرهبان. وكانت وفاة مار اوكين في نصيبين

ويؤيد شهادة السريان المؤرخ اليوناني المعاصر سوزومان (١ في الكتاب السادس من تاريخهِ (الفصل ٣٤) فقال عنهُ انَّ اوكين وهو دعاهُ اونس (Aones) جارى القديس انطونيوس بنشرهِ الناسك الرهبانيّة في الجزيرة وفي تخوم العجم وقال عنهُ انهُ سكن في نواحي نصيبين في فادانا (Phadana) ثم انتقل المؤرخ الى ذكر تلاميذهِ او المتشبهين بسيرتهِ فذكر في جبل سنجار باتّاوس واوسابيوس وبرجس وكالس وآبا والعازر الذي سُقّف بعد ذلك على نصيبين وعبدالله وزينون وهليودورس وذكر في حرّان اوسابيوس الحبيس وبروتوجان الذي تولّى الاسقفيّة على حرّان بعد بيتوس

وذكر السريان من تلامذة مار اوكين القديس شليطا الراهب الذي بشّر بالايمان في بازبدى ثم سابا الذي عمر هناك ديرًا ويوحنا الذي كان يطوف القرى وينذر الناس وآحا اخا يوحنا (٢. ثم تبعهم آخرون كثيرون وعمّروا الاديرة العديدة حتى صارت بعض انحاء الجزيرة كمدن رهبانيّة لا سيما الامكنة القفرة والجبال كالجبل

١) اطلب مجموع الآباء بين (Migne; PP. GG. LXVII, 1391)
٢) اطلب تاريخ ماري بن سليمان (ص ٣٦) والمكتبة الشرقية للسمعاني (٤: ٨٦٥)

المعروف بطور عابدين في شمالي شرقي ماردين وجبل الازل السابق ذكرهُ وجبال الموصل والرها. وزعم بعض المؤرخين انَّ بين هذه الاديرة ما كان يبلغ عدد رهبانهِ عدَّة الاف منها للرجال ومنها للعذارى (١ وقد بقي من هذه الاديرة الى يومنا آثار ظاهرة وبقايا معتبرة . فانَّ حضرة القسّ اسحاق ارملة وصف في مقالة نفيسة الاديرة التي تُرى آثارها بقرب ماردين فقط (اطلب المشرق ١٢ : ٧٦٠)

واشتهر مع هؤلاء كثيرون من كبار المعلمين والاولياء كالقديس يعقوب النصيبيني والقديس افرام والاساقفة القديسين برسيس واولوجيوس ورُبولا والقديس يوليان سابا

فهؤلاء كلهم او اكثرهم اختلطوا بعرب الجزيرة ونصروهم ودعوهم الى الدين المسيحي. وكانت سيرتهم الملائكيَّة تؤثر في البادية فكانوا يقصدونهم ويلتمسون صلواتهم ويطلبون منهم شفاء امراضهم فينالون غالباً ملتمسهم ويقبلون دين المحسنين اليهم فيعتمدون. وذلك منذ القرن الرابع كما تشهد عليهِ نصوص المؤرخين حتى امكن السمعاني ان يقول في مكتبتهِ الشرقيَّة (٤ : ٥٩٨) : ان العرب الذين كانوا يسكنون في الجزيرة ونواحي الكلدان والخليج العجمي عدلوا الى الدين المسيحي قبل السنة ٣٢٠ المسيح بهمة اساقفة الرها والمدائن والرهبان المنتشرين بينهم

وممن شهد على تنصر العرب المؤرخ اليوناني سوزومان فقال في تاريخهِ (ك ٦ ف ٣٤) عن الرهبان: « انَّ هؤلاء النساك قد جذبوا الى دين المسيح كل السريان تقريباً وعدداً عظيماً جدًا من الفرس والعرب بعد ان انقذوهم من عبادة الاصنام ». وقد مرَّ بك ما رواهُ تاودوريطس عن القديس سمعان العمودي وقبائل العرب التي تنصَّرت على يدهِ. وكان كثير منها تقاطرت اليهِ من العراق واليمن فما قولك بالقبائل التي كانت قريبة منهُ كقبائل الجزيرة

سادساً وكما شهد كتبة السريان واليونان على نصرانيَّة قبائل الجزيرة كذلك وافقهم كتبة العرب على هذا الامر كما سترى (لهُ تابع)

---

١) اطلب تاريخ العيشة الرهبانية لتاودوريطوس Theodoreti : *Hist. religiosa*, c. 30

مطبوعات شرقية جديدة

TRAVELS AND STUDIES IN THE NEARER EAST, by A. T. Olmstead, B. B. Charles a. J. E. Wrenek (Cornell Expedition to Asia Minor and the Assyro-Babylonian Orient). *Vol. I. Part II.* HITTITE INSCRIPTIONS, *Ithaca* (*New-York*) 1911, 4°., 49 pp. a. 27 *Plates.*

رحلة بعثة كُورْنل الى الاناضول وكتاباتها الحثيّة

ان كليّة كورنل الاميركيّة اوفدت بعثة علمية الى جهات الاناضول بمساعي الاستاذ ستيرت (J. R. S. Sterrett) الذي طاف سابقاً تلك الانحاء. فلمّا عادت آخراً الى اميركة بغنائم علميّة معتبرة اخذ اصحابها في تنسيق اكتشافاتهم ووصفها وبما انّ شغلهم يقتضيهِ زمن طويل فلا ينجزون القسم الاوّل منهُ الّا بعد سنة احبّوا ان ينشروا للحال الكتابات والآثار الحثيّة التي وجدوها حديثاً او استأنفوا درسها. فاذا بعجالتهم كتاب خطير قام بتصنيفهِ ثلاثة اساتذة من كليّة كورنل في مقدّمتهم الاستاذ شرلس اللغوي الذي تولّى نشر الكتابات الحثيّة بعد ان استنسخها ورسم صورها الفوتغرافية واعدّ نشر نصوصها. ومن اطّلع على هذا الكتاب ادرك لاوّل وهلة قدرة صاحبها وفضلهُ العمم فانّ بين هذه الكتابات ما وقف عليهِ اسلافهُ واعلنوا بعدم استطاعتهم قراءتهُ فحلّ الاستاذ شرلس رموزهُ. ولم يكتفِ بتصوير هذه الكتابات بالشمس بل رسم صورها باليد ايضاً وبذلك سهل على العلماء كشف معانيها. ومن المعلوم انّ الكتابات الحثيّة حتى الآن سرّ دفين لم يطلع عليهِ اساطين العلم مع وفرة آثارها المكتشفة في الاناضول وسوريّة وما بين النهرين اذ لم يقفوا حتى الآن على أثر في لغتين ليحلّوا القلم المجهول بالمعلوم كما فعل شامبوليون لحلّ الرموز الهيروغليفيّة بواسطة حجر رشيد. والذي وجدوا فقط خاتماً صغيراً ذي لغتين لكنهُ غير كافٍ المقصود. فان شاء الله تتحقق آمالهم قريباً س. ر

HANDBUCH DER MITTELALTERLICHEN UND NEUEREN GESCHICHTE, herausg. von G. von Below u. F. Meinecke: URKUNDENLEHRE von W. Erben, L. Schmitz-Kallenberg und Osw. Redlich. I^er Teil. 1907, III^er Teil, 1911. *München, Oldenbourg*, 2 *vol.* gr. 8°; X-369 pp. et VIII-233

اصول تاريخ القرون الوسطى والازمنة الاخيرة

أُنشئت في المانية جمعيّة لوضع تاريخ مدرسي كامل للقرون المتوسطة والاجيال

المتأخرة فاهدانا المتولي لطبع هذا الاثر مجلدين أنجزا منهُ حتى الآن وهما الاوَّل والثالث. فالاوَّل الذي طُبع سنة ١٩٠٧ يحتوي مقدّمة واسعة بحث فيهـا مؤلفها المسيو إردين عن الاصول التي يُستند اليها في كتابة التواريخ الملكيَّة والامبراطوريَّة مدَّة القرون الوسطى في المانيـة وفرنسة وايطالية. وتتبَّع بالاجمال تاريخ الكتابات الرسميَّة كمجموع الراهب البندكتيّ مابيليون (Mabillon) الشهير والمناشير والتقارير والرسالات والصكوك الجارية في تلك الازمنة وبحث عن اصولها وصورها ونُسخها وترويراتها. امَّا المجلد الثالث فنشرهُ المسيو ردليخ في العام المنصرم ووجَّه فيهِ نظرهُ الى تاريخ الكتابات والصكوك الخاصة الرومانيَّة والافرنسيَّة والالمانيَّة التي شاعت منذ بدء تلك الاجيال ولهُ تفاصيل واسعة في ابواب متعدّدة عن معلومات القرن العاشر الى الثالث عشر ختمها بفصل مهمّ عن التقارير الشرعيَّة. والمجلد الثاني الذي لم يُنشر بعد بالطبع سوف يشتمل درساً واسعاً على الاصول التي تتضمن التواريخ البابويَّة. وما يقال اجمالاً عن هذا التأليف انهُ من انفع ما نُشر حتى اليوم في تعريف الاسانيد التاريخيَّة للقرون الوسطى وانَّهُ يحقّ نقلهُ الى العربيَّة ليُقتبس من فوائدهِ. بل نتمنَّى ان يقوم احد الشرقيين فيحذو حذو مؤلفي هذا الكتاب ويعرّف الاصول التاريخيَّة الشرقيَّة التي يجب على العلماء ان يركنوا اليها في درس اخبار بلادنا   س. ر

L. Lallemand. HISTOIRE DE LA CHARITÉ. t. IV. Les Temps Modernes (XVI-XIX^{e} siècles), 1re partie. *Paris, A. Picard,* 1910, IX-624, 8°

تاريخ المشروعات الخيرية في القرون الحديثة

عرف قرَّاء المشرق (٩ : ٧٦٩) خواص هذا الكتاب الذي قصد منهُ صاحبهُ بيان قوَّة المحبة المسيحيَّة وتفنُّنها العجيب في انشاء المشروعات الخيرية المتعدّدة لمعالجة كل الإسقام البشريَّة. وهـذا المجلد الرابع قد خصَّهُ المؤلف الفاضل باعمال الرحمة في الاجيال المتأخرة. واتسع بهِ المجال لكثرة ما وجد من الموادّ لاسيا بعد اكتشاف فن الطباعة وتعدُّد المنشورات واختلاط الامم وايجاد الوسائل المستحدثة لاعانة الفقراء وعلاج الامراض وسدّ الحاجات المختلفة. فقسم هذا الجزء قسمين. افتتح الاوَّل الذي تمَّ حديثاً بنظر عـام في الطرائق التي ساعدت بها الكنيسة الاوجاع البشريَّة منذ المجمع التريدنتيني فعدَّد ما أُنشي من الجمعيَّات والرهبانيَّات الخيرية كرهبانيَّة مار

يوحنا الالهي لعلاج المجانين وجمعية اخوات المحبة وعدد لا يحصى من الرهبانيات التي نشأت في حديقة الكنيسة كزهور تُبهج النظار وتسرّ القلوب وتشهد امام العالم بما للدين الكاثوليكي من الحياة النامية ولم يُحرَم شرقنا العزيز من منافعها. وعقَّب هذا النظر بفصلين مطوَّلين عن الاوبئة المُعدية كالطاعون والجهاد ضدّ الشحاذة . وختم هذا القسم بباب واسع في المستشفيات وتجهيزها وادارتها . امَّا القسم الثاني فقد افادنا المؤلف انهُ خصهُ بالاعمال الخيرية الناشئة في القرن التاسع عشر . فنشكر الف شكر صاحب هذا التأليف الجليل الذي شحن كتابهُ بالمعلومات الخطيرة عن اعمال الخير فاثبت ما لهُ من سعة المعارف وكثرة الاطلاع . وحرَّك في القلوب عواطف الشفقة والرحمة نحو ذوي البأساء اذ جعل السابق عبرةً للاحق وليس كالمثل دافع الى عمل الخير

س . د

Le Marquis de Pomponne (1618-1699) par **L. Delavaud.** *Plon, Paris,* 1911, pp. XX-363

المركيز دي بومبون

ادار المركيز دي بومبون اعمال الوزارة الخارجيَّة في فرنسة ايام لويس الرابع عشر مدَّة من الزمان وقرأنا توقيعهُ على كثير من الرسائل المتعلقة بالشرق. ولمَّا فتحنا هذا الكتاب أمَّلنا ان نستخلص منهُ فوائد تاريخيَّة عن احوال بلادنا في زمانه فخاب املنا لكننا وجدنا فيهِ كثيرًا من النصوص الاصليَّة الكاشفة القناع عن طباع هذا الوزير وذويهِ واصدقائهِ وكثيرين من معاصريهِ فاثنينا على جامع شتات هذه الآثار لما في معرفتها من الفائدة اذا اشكل على الكاتب شرح بعض اعمال الوزير . كان دي بومبون شهمًا ممتازًا بالصدق والامانة لكنهُ من عائلة « ارنو » (Arnaud) التي اشتهر تعلّقها ببرطقة جانسنيوس فجاءت بعض اقواله واعماله سرًّا على الباحث اذا جهل هذه العلاقات العائليَّة. لكن السرّ ينكشف اذا ما تبحر القارئ بما نشرهُ المسيو دلاڤو من الاوراق

ا . د

Enchiridium Patristicum collegit **Rouët de Journel** s. j. *Fribourg-en-Brisgau. Herder* et *Beauchesne, Paris,* 1911, XXIV-882 pp. in-8°. Prix 12 frs

خلاصة تعليم الآباء

انَّ طلبة اللاهوت يحتاجون لتأييد العقائد الكاثوليكيَّة الى مراجعة اعمال

الآباء الاولين. لكنّ مجموع تآليف الآباء ينيف على مئين من المجلدات الضخمة والدارسون لا يستطيعون ان يخوضوا ذلك البحر العباب لقصر وقتهم وبُعدهم من المكاتب الحافلة فاحبّ احد الآباء اليسوعيين الاب ر. دي جرنيل ان يتلافى هذا النقص فراجع اعمال الآباء وللآثر الدينية القديمة المكتشفة حديثاً وانتزع منها اخصّ ما فيها من النصوص الحقيقة باثبات التعليم الكاثوليكي منذ عهد الرسل الى القرن السابع ونشرها باللغتين الاصليتين اي اليونانية واللاتينية متبعاً في تنظيمها اقسام اللاهوت النظري ليسهل الاطلاع عليها مع الاشارة الى طبعة مين (Migne) ومجموعَيه اليوناني واللاتيني. امّا شواهد الآباء السريان كمار افرام وافراهاط فروى ترجمتها فقط. ثمّ ألحق بعمله عدّة فهارس تزيدها فائدة. فجاء الكتاب مع وفرة موادّه وعدد صفحاته من اجلّ الكتب الدارسية واقربها استعمالاً. وهذا التأليف يوافقه تأليفان آخران من جنسه وُضعا ايضاً لدارسي العلوم اللاهوتية اوّلهما خلاصة دساتير الايمان والقضايا المثبتة في المجامع وبراءات الاحبار للابوين اليسوعيين دنتسنغر وبانفرت (Denzinger-Banwart s. j. : *Enchiridium Symbolorum*) الذي طُبع عشر مرّات. والثاني خلاصة اصول التاريخ الكنسيّ القديم للاب كرش اليسوعي (Kirsch s. j. : *Enchiridium Historiæ Ecclesiasticæ antiquæ*). فهذه الكتب الثلاثة تباع عند هردر (Herder) ولا غنى عنها لطلبة اللاهوت بل لكل الكهنة ولاسيا الواعظين والكتبة

الاب ب. كـاناكيس

LEÇONS ET LECTURES D'APOLOGÉTIQUE : LA VRAIE RELIGION par E. Roupain, *Casterman, Paris et Tournai*, 1911 pp. 676 in-8°

دروس جدالية في الدين المستقيم

هـذا الكتاب كالتأليف السابق من المصنّفات المتمّة التي تغني الكهنة ومحبّي الدروس الدينيّة عن المطالعات المملّة. فانّ مؤلفه اليسوعي جمع كدائرة علوم الدين فنتل من اشهر الكتبة المتأخّرين والوعاظ المفوّهين وبلغاء الصحفيين وغيرهم اجود ما كتبوه في تأييد قضايا الدين الكاثوليكي والردّ على الزنادقة الملحدين ومنكرة الوحي. وهو مقسم الى قسمين الواحد في الدين والوحي والآخر في وحي العقائد النصرانية. وقد قدّم جامعه عليه مقدّمة نفيسة جمع فيها اخصّ ما كُتب حديثاً في وجوده تعالى

وختمهُ بالفهارس المفيدة: فنثني على جامع هذا الكتاب اطيب الثناء ونوصي بهِ كلَّ من يحبّ اثبات وجوب الدين والدفاع عن حياض الحقائق الدينية ب·ك

M. Gatterer s. J. et **Fr. Krus** s. J. : L'Éducation de la Chasteté. Traduit par l'Abbé Th. Dequin. *Paris,, Bloud et C^ie*, 1911, pp. 148. Prix 2 frs.

تهذيب العفّة

انّ الاخطار المتعدّدة التي تتعرّض لها عفّة الاحداث لا سيما في الجيل الفاسد الذي نحن في مطاويهِ قد استلفتت انظار كل العقلاء الموكول اليهم تهذيب الناشئة اذ يرون ما يُحدق بالصغار من اسباب الخلاعة مع تواطؤ الاشرار على تقويض اركان العفاف في قلوب الاحداث فما يكادون يترعرعون حتى تكون ذبلت فيهم زهرة الطهارة واستسلموا الى تلك العادات القبيحة التي يندى لها الجبين حياء فيظلمون نفسهم وجسدهم معاً فلاستدراك هذا الشرّ العظيم رأى الابوان اليسوعيان غاتّرِر وكروس ان يصنفا هذا الكتاب ليكون كدستور في ايدي الوالدين ثمّ كل المتولين لتخريج الشبيبة يصونون بقوانينه في قلوب الشبان هذا الكنز الفريد بان يُبعدوا عنهم الاخطار التي تتهدّد عفافهم ويعدّوهم شيئاً فشيئاً بكل رزانة وحشمة الى معرفة اسرار الطبيعة التي يجب عليهم معرفتها فيعلموا كم هي عظيمة في الانسان الحياة التسلية وكم يؤدي سوء استعمالها الى العواقب الوخيمة. فجاء الكتاب كدواء ناجع لذلك الداء العضال الذي يسري بين اغرار الشبان. ولذلك قد احبّ نقلهُ الى الفرنسويّة الخوري دكان الفرنسوي تعميماً للفائدة. ومثلهُ فائدة كتاب آخر ظهر سنة ١٩٠٨ في مصر معرّباً عن الانكليزيّة بقلم سليم افندي خوري وعنوانهُ "عفّة الاولاد" استحسناً طريقتهُ لجاز وضعهُ في ايدي الشبان الاب ي· ديلانسير

J.-B. Chabot : Notice sur la Vie et les Travaux de M. Rubens Duval. *Macon, Protat*, 1911. pp. 44

ترجمة حياة واعمال المرحوم روبنس دوڤال

ذكرنا في جملة اخبار العام المدبر خبر وفاة هذا المستشرق الفرنسويّ الشهير. واليوم قد أهدانا اهلهُ ترجمةً مستوفية لاعمال حياتهِ وتآليفهِ فسُررنا بمطالعتها وزاد اعتبارنا لذلك الرجل الذي عرفناهُ في باريس واختبرنا سعة معارفهِ وجميل فضلهِ وعراقتهُ في

الدين الكاثوليكي. وفي آخر ترجمته جدول مصنّفاته البالغة نحو الثلاثمائة بين طويلة وقصيرة يُستدلُّ منها انهُ كان يعرف عشر لغات شرقيّة فضلاً عن اللغات الاوربيّة رحمهُ الله

ل. ش

كتاب التعبد ليسوع طفل براغ

من قلم الاب انستاس ماري الكرملي الخافي

(طبع بمطبعة الآداب في بغداد ١٩١١ ص ١٦٨)

كنَّا سبقنا قبل ١٥ سنة فنشرنا في مطبعتنا كتاب « التعبد لطفولية يسوع المسيح مع نبذة في ذكر تمثال الطفل العجائبي المكرَّم في مدينة براغ » واليوم قد أتسع حضرة الاب انستاس الكرملي في هذا الموضوع وألف اثني عشر تأملاً في فضائل الطفل يسوع لكلّ شهر من شهور السنة. ويلي كل تأمل خبر تقوي مع اكرام ونافذة. وقبل تلك التأملات بلمعة في فوائد هذه العبادة وتأريخها والصلوات اللائقة بممارستها مع تساعية لعيد الميلاد والنشيد يُتغنى بها. وهو كتاب صغير الحجم واسع الجدوى دبَّجهُ حضرة المؤلف بقلمهِ البليغ. ولعلمنا ان حضرتهُ يحبُّ الانتقادات اللغوية نذكر له بعض اغلاط وقعت في كتابهِ كقولهِ مثلاً (ص ٩ س ١) « الكلمة المتجسدة » والصواب هنا « المتجسد » اي ابن الله ليوافق قولهُ بالمذكر « انتقل من احشاء مريم » وقولهِ (ص ١٠ س ٧) « لولا ايَّاك » والصواب « لولاك » وقولهِ (ص ١١ س ١٣) « يسرع » غلطة طبعية يريد « يسوع » وقولهِ (ص ١٢ س ٢) « الدموع التي فاضها » والصواب « افاضها » وقولهِ (فيها س ٣) « يُسمعهُ للناس » والصواب « يُسمعهُ الناس » اذ اسمع يتعدَّى الى مفعولين وقولهِ (فيها س ٨) « ان تتزلي لكي تلينيهِ » والصواب « ان تنزل لكي تلينهُ » عائد الى « الصراخ » هذا بعض ما لاحظناهُ في الصفحات الاولى

ل. ش

كتاب الكهنوت

لابينا المعظَّم القديس يوحنَّا مارون البطريرك الاوَّل

عُني بتعريبهِ ونشرهِ بالسريانيَّة والعربيَّة القس يوسف حبيقه الراهب الماروني

(ص ٩ + ١٨٣ + ٥٥٥)

يحتوي هذا الكتاب اربعين فصلاً في اخصّ الامور المنوطة بالكهنوت كاصلهِ

واقسامهِ وشرفهِ ودرجاتهِ ومراتبهِ وخواصهِ وهو من اجلّ آثار الكنيسة السريانيّة فاحسن بطبع اصلهِ وتعريبهِ حضرة القس يوسف حبيقه البكاساوي الراهب الماروني اللبنانيّ لتعمّ فائدتهُ اهل بلادنا ولاسيما الاكليروس. اما نسبة هذا الكتاب الى مار يوحنا مارون ففيه نظر فانهُ ليس بين المستشرقين والعلماء المدقّقين في زماننا من يقول بذلك كما انّ النسخ الموجودة منهُ في المكاتب لا تذكر مار يوحنا مارون. واذا طلب حضرة المعرّب ان ندلّهُ على نسخة قديمة ترشدهُ الى الصواب فنشير اليه بمراجعة نسخة دير الشرفة التي تاريخها سنة ١٢٢٤ للمسيح وفيها اسم مؤلف الكتاب صريحاً وهو «موسى بركيفا» من اشرف كتبة السريان. وليراجع ايضاً حضرتهُ ما كتبهُ في هذا الشان صاحب الحجج الراهنة (ص ١٧٣–١٧٥) وهناك يبين المؤلف سبب نسبة هذا الكتاب الى يوحنا اسقف دارا من كتبة القرن العاشر ل. ش

شذرات

تاريخ تتويج الملك جرجس الخامس في الهند — بنسبة تتويج جلالة جرج الخامس ملكاً على الهند في دلهي صنف احد المستشرقين الاميركان وهو ناظر مكتبة فال ريفر في الولايات المتحدة المسمّى جرج رنكين (G. Ranking) فقرة نثريّة عربيّة ضمّنها تاريخ هذا الحادث على حساب الجمّل وارسلهُ الى المجلة الاسيويّة الانكليزيّة (JRAS) فنشرتهُ آخرًا (عدد ك ٢ ١٩١٢ ص ٢٦٢) ومجموعهُ سنة ١٩١١

بعون الله جرجيس خامس قيصر هند حامي الملك والدين

١٣٨ ٦٦ ٣٧٦ ٧٠١ ٤٠٠ ٥٩ ٥٦ ١٣١ ١٠١ =١٩١١

اقرار بالفضل — سرّنا ما قرأناه في المفيد من اقرار جناب الوجيه مختار افندي بيهم بفضل الاجانب في بلادنا وبهِ احسن ردّ على الذين شحنوا كتاباتهم سابقاً سبّاً في حقّ الاجانب:

«كان ابتداء الحركة العلميّة الحقيقيّة على ايدي الاجانب فلهم فضل عظيم في نشر العلوم والمعارف في بلادنا وكل من ينكر ذلك يكون مخطئاً وناكرًا للجميل

«يقول بعضهم: اننا لا ننكر عليهم سعيهم في تعليمنا ولكن لهم من وراء ذلك غايات

ومآرب. فانا اقول لهؤلاء ان اعترافهم هذا وتأييدهم للحقيقة مما يُشكر. ومع ذلك فالعاقل من يستفيد من كل خير ويتّقي ما يخالف مصلحتهُ الشخصيَّة والعامة معاً

« هذا فيما يتعلّق في حركة الاجانب الطبيَّة اما اخواننا المسيحيون فانهم عرفوا كيف يستفيدون من زمن بعيد من تلك المدارس وذلك بارسال اولادهم اليها اقتباساً لعلومها. وقد انتبهوا الى هذا الامر منذ اربعين سنة ويوم كنا نحن المسلمين نعتقد ان تعلم اللغات والعلوم العاليَّة والرياضيَّة كفر وضلالة. وهذه هي العثرة التي كانت سبباً في تدنّي المسلمين في المعارف والرقي الاقتصادي والاجتماعي عن اخوانهم من بقيَّة الطوائف. تلك حقيقة جارحة يجب ان نتذكرها خوفاً من الوقوع في مثلها في المستقبل... »

المروءة الفرنسويَّة — انثى في احد اعداد المقطم الاخيرة الكاتب البليغ وليّ الدين افندي يكن على مروءة الفرنسويين لاحتجاجهم على الايطاليين في توقيف سفينة افرنسيَّة كانت تقلّ عدداً من الاتراك بحجة كونهم ضباطاً سائرين الى محاربتهم في طرابلس الغرب فقال وهو نعم القول ينفي اكاذيب الذين شتموا هذه الدولة الشريفة لما اوقفت قرضاً جديداً لتركيا قبل استيفاء الشروط المرعيَّة بين الدول:

« سلام على فرنسا وربانها وحكومتها وشعبها سلام اوَّلهُ اليوم وآخرهُ الابد. دار العلم وموطن الحريَّة وجنة الدنيا وكناس الظباء ومربض الآساد. جمالها في غضبها كجمالها في رضاها بسمتْ ففتنتْ عبست فاخضعت... لو غضبت فرنسا غضبتها من اجلنا لكان ذلك حباً وتحيزاً ولكنها غضبت للحق وغضبت للشرف...

« وانا اقول: اذا غضبت عليك فرنسا حسبتَ دول الارض كلها غضبى. تُرهب بسلطانين من حق وقوة. كبرَ عليها ان تذهب سفينتها وودائعها نهباً في حرب ليست من جناتها. ولو لم يكن على ظهر الارض الا فرنسوي واحد لاستنزهُ ما استفزَّ فرنسا المثلى. هذه انفس خُلقت عزيزةً فلا يريد الله لها الذلّ...

« كان قوم يزعمون ان المسيحيَّة متفقة على مناوأة الاسلام. علت صيحاتهم حتى صمَّت الآذان. فما قولهم في فرنسا المسيحية الكاثوليكيَّة اللاتينيَّة تتوعد ايطاليا المسيحية الكاثوليكيَّة اللاتينية من اجل اتراك مسلمين...

« هكذا تصنع الامم المتمدنة. وليس بيننا وبينها خلاف إلّا في العقول والمدارك. وهو خلاف يزول متى بلغنا من العلم والتمدُّن مبلغها. وما ذلك محالاً غير انهُ بعيد...

« يا فرنسا يا حسناء اوروبا... ما مقالي هذا ثناء عليكِ ولا وصفاً لك. بل هو قبلة شوق تجتاز البحر المتوسط وترفُّ على جبينك الذي يتألق بنور الحرية في ظلمات العصر العشرين »

استياء — بلغنا انَّ بعض افاضل الروم الارثذكس استاؤوا مما ورد في العدد الاخير (ص ٥٢) عن كنيسة صيدنايا الكاثوليك والروم هناك. فجوابنا

انّنا بنشرنا هذا الاثر التاريخي الفريد في بابهِ لم نقصد اساءة احد وانّما روينا الخبر كما ورد في الاصل اذ لم يَجُز لنا التصرُّف بهِ بل عُني حضرة متولي طبعهِ بتلطيفهِ بما اثبتهُ في ذيل الصفحة ملقياً تبعة الامر على بعض الجهّال — هذا ونحن احقّ بالاستياء ممّا تنشرهُ تباعاً مجلة « الكلمة » الارثذكسيّة التي يتولّى ادارتها اسقف ارثذكسي فلا تدع عدداً من اعدادها دون ان تجرح عواطف الكاثوليك وتنسب الى الكنيسة الرومانيّة الدعاوى الكاذبة وتشتم الرهبانيّة اليسوعيّة بانواع الشتائم . وسنعود الى هذا الامر في عدد آخر ان شاء الله

اسئلة واجوبة

س سألنا عن اصل الكلمتين « شدياق وفسيفساء » وما معناها الاصلي

شدياق . فسيفساء

ج الشائع انّ الشدياق هو الشمّاس الرسائلي وانّ اشتقاق اسمهِ من اليونانيّة (ὑποδιάκονος) لكنّ الشين من اوّل الكلمة يدلّ على انّ اصلها من (ἀρχιδιάκονος) اي رئيس الشمامسة الانجيليين فحذفوا حرفيها الاوّلين واطلقوها اوّلاً على الشمامسة الكبار ثم كثر استعمالها فعمّ جميع الشمامسة — امّا الفُسَيفساء ومثلها الفِسفِس فاشتقاقها من اليونانيّة (ψῆφος) او (ψηφίς) ومعناها الحجرة الصغيرة لانهم كانوا يتّخذون الحجار الصغار فيرصّعونها للنقش . الّا ان اللفظة العربيّة لم تُنقل رأساً من اليونانيّة لكن بتوسّط اللغة الآراميّة فسفس ([illegible]) او فسفيس ([illegible]) ومعناها الحصى

س وسألنا احد رهبان دير المخلص كيف يتوصل الى استقطار الالكحول (السبيرتو) من البرتقال

استقطار الالكحول من البرتقال

ج لاستقطار ثمر البرتقال وتحويل ما فيهِ من السكر الى الالكحول لا بُدَّ من تخميرهِ ويُحصل على ذلك بخميرة البيرة او رغوتها (levure de bierre) فاذا اختمر استُقطر بالانبيق كمألوف العادة ل . ش